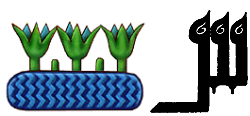
حول تطورات

لغتنا المصرية المعاصرة



عبد العزيز جمال الدين

الطبعة الأولى
2011

حول تطورات لغتنا المصرية المعاصرة

الطبعة الأولى: 2011 القاهرة.

عبد العزيز جمال الدين
abgam1940@hotmail.com

منشورات مصرية
نحو ثقافة وطنية ديموقراطية

رقم الإيداع: 2011/16374
الترقيم الدولى: 977-222-323-8

من الشكل الموجود أسفل عنوان الكتاب فى الصفحة السابقة يمكننا ملاحظة أن حرف "الشا" المصرى الذى يتمثل فى ثلاث زهرات من اللوتس، كان مصدرا لحرفى السين والشين فيما نكتبه وننطقه الآن.

أهداء

إلى كل من ساهم فى تطوير لغتنا المصرية عبر تاريخها الطويل منذ تحوت/هيرمس مرورا بالغنوسيين المصريين حتى ذا النون المصرى، وسناء الملك وابن سودون وابن مماتى والمقريزى والقلقشندى وابن إياس والشيبانى والجبرتى والطهطاوى والنديم وعياد الطنطاوى وبديع خيرى وبيرم التونسى وعبد العزيز فهمى وعبد الحميد الديب ومحمود تيمور وطاها حسين وسلامه موسى والعالم الكبير مصطفى مشرفة وإبراهيم انيس ولويس عوض وبدر نشأت وبيومى قنديل وفؤاد حداد وصلاح جاهين وسيد حجاب وفؤاد قاعود والأبنودى ونجيب شهاب الدين ونجم وغيرهم كثر احبوا مصر وشعبها ولغتها.

وإلى الشعب المصرى الذى حافظ على لغته طوال تاريخه فى سياق حياته اليومية وابداعاته الشعرية وسيره الشعبية وامثاله وحكاياته، بالرغم من الهجمات الأستعمارية اليونانية والرومانية والعربية والتركية. وحتى بالرغم من العروبيين الجدد.

بداية يجب أن نعترف بأن كل لغة حية، ومنها لغتنا المصرية، لها مستوى شعبى، حياتى يومى، شائع بين كل أهل هذه اللغة، هذا المستوى يملك إلى جانب شيوعه، فنونه وآدابه الشعبية المتمثلة فى السير الشعبية والشعر ومسرح الأراجوز ومسرح السامر. بل ويملك كذلك لغة المسرح المعاصر والسينما والمسلسلات.

هذا المستوى الشعبى يستمد منه المستوى الرسمى الذى يصوغه بعض العلماء والمفكرين فى قواعد واشكال حروف الكتابة لتستخدم فى المحررات الرسمية للدولة، وليس معنى ذلك أن هذا المستوى من اللغة المصرية (أى الرسمى) لا يملك ابداعاته الأدبية لمن يشاء أن يبدع به.

وهكذا نرى أن المستوى الشعبى من اللغة هو الأساس القاعدى لها ومبرر تطورها، ولا يمكن أن نتصور لغة دون هذا المستوى.

دخلت لغة المصريين بعد سقوطهم تحت يد الاحتلال المقدونى فى صراعات مريرة مع الاحتلال الأجنبى الذى كان يسعى - ضمن مساعيه الاستعمارية الاخرى- إلى فرض لغته على المصريين ومحو لغتهم الوطنية بهدف اضعاف مقاومتهم وتفتيت وحدتهم - التى تقوم فى أحد أركانها على وحدة اللغة وطمس تراثهم الثقافى. وهم فى سبيل ذلك قاموا بإلغاء المدارس العامة والمؤسسات الثقافية الأخرى التى كانت تحمى - ضمن ما تحمى - هذه اللغة وتشجع مبدعيها.

لكن اللغة المصرية تمكنت فى النهاية من البقاء والاستمرار والتطور بعد أن أُثخنت بالكثير من الجراح التى تمثلت بداية فى إجبار المصريين على كتابة ترجمة يونانية للنصوص المصرية فى المداولات الرسمية والآثارية (1)، وانتهاء بكتابة اللغة المصرية بحروف يونانية فى أغلبها عرفت باسم الخط القبطى (2). وقد أدى ذلك إلى دخول أعداد هائلة من الكلمات اليونانية إلى اللغة المصرية الرسمية خاصة عند ترجمة العهدين القديم و الجديد من اليونانية إلى المصرية و أنتشار المسيحية فى مصر، وبالرغم من أنه تم كتابة اللغة المصرية بالحروف اليونانية/القبطية إلا أن قواعد اللغة المصرية ظلت تحكم تلك الاشتقاقات اليونانية. مع ملاحظة أن الأمية الكتابية

التى كانت سائدة بين الشعب المصرى فى ذلك الحين ساعدت على عدم وصول المفردات اليونانية إلى لغة المصريين، فظلت فى مستواها الشعبى بعيدة كل البعد عن المفردات اليونانية.

فى نفس الوقت الذى ظلت فيه الجهود الأهلية والشعبية فى تطوير اللغة المصرية مستمرة فى الأغانى والحكم والأمثال والحكايات و أعمال الشهداء المصريين قبل و بعد انتشار المسيحية، وفوق كل ذلك فى الكُتاب الأهلى الذى استمر فى عمله منذ القدم وحتى منتصف القرن العشرين، بسبب عدم قدرة السلطات الحاكمة من تتبعه والوصول إليه فى اعماق الريف المصرى، وخرج منه العديد من المدارس الأهلية خلال هذه الفترة محافظا بذلك على اللغة وكتابتها، وهكذا حافظ المستوى الشعبى من اللغة المصرية على اللغة المصرية ودعم قيامها واستمرارها فى شكلها الرسمى/الفصيح.

ومع الاحتلال الرومانى لمصر بدأت مرحلة جديدة من الصراع ضد اللغة المصرية ومحاولة طمسها بالكامل. فإلى جانب سياسة إغلاق المؤسسات الثقافية المصرية التى كانت فى هذا الوقت تحتمى بالمعابد المصرية، ونشر الأمية، ُشنت حملة ضارية ضد البرديات المكتوبة باللغة المصرية، وتم تدمير ومصادرة العديد منها بسبب احتوائها على أقدم أشكال الأدب الوطنى المقاوم للاحتلال الأجنبى، والذى عرف خطأ باسم أعمال الشهداء الوثنيين (3)، تلك الأعمال التى ألهمت

فيما بعد إبداعات" أعمال الشهداء المسيحيين" فى ظل المقاومة المصرية للاستبداد الرومانى.

وفى ظل اعتناق الرومان للمسيحية شنوا حملة تدميرية واسعة النطاق ضد المصريين ومعتقداتهم الوطنية ومعابدهم وتراثهم الثقافى والفنى المخطوط. وكان من الطبيعى فى البداية أن يشترك فى هذه الحملة بعض مسيحيو مصر، الذين اعتبروا عملهم هذا عملا دينيا مقدسا ضد ما أسموه بالوثنية، بالرغم من أنه كان ضد إخوانهم من المصريين الذى حموهم فى السابق من الاضطهاد الرومانى (4).

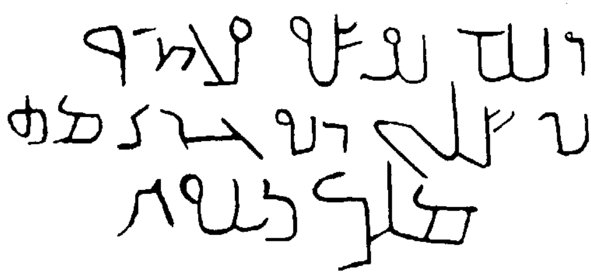
ولعل أحد الأسباب الأساسية التى أدت إلى تحول اللغة المصرية الى الكتابة بالحروف القبطية / اليونانية، وما تبع ذلك من بعض التحولات اللغوية يعود الى هذه الفترة. ففى الوقت الذى حارب فيه الرومان، ومن قبلهم المقدونيون، هذه اللغة الوطنية حتى سادت أمية شديدة بين الشعب المصرى صاحب الحضارة العظيمة، كانت المؤسسة الدينية القبطية فى حاجة الى هذه اللغة لنشر معتقدها المسيحى بين الشعب المصرى الذى لم يكن يعرف لغة سواها، واعتمدت هذه المؤسسة فى عملها على كتابة عدد من المخطوطات الدينية باللغة المصرية ذات الحروف اليونانية هروبا من الكتابة بالحروف الديموطيقية المصرية تحت دعوى أنها حروف الكتابات (الوثنية) المصرية. وكانت هذه المخطوطات تحتوى على

النصوص الإيمانية ورسائل الآباء البطاركة فقط، لتلقى شفاهة على المؤمنين الأميين فى الكنايس (5) أما ما عدا ذلك من ابداعات اللغة المصرية - سواء فى مجال الفنون، والآداب والعلوم والفلسفة - فقد تم تجاهله وتدميره (6).

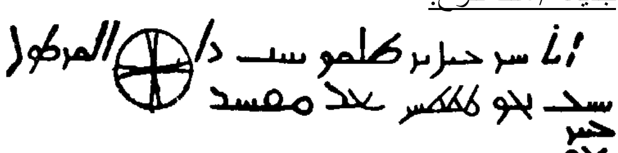
وقد أدت سياسة التعليم الشفاهى هذه، والتى اعتمدت على التلقين والحفظ، وعدم وجود من يحمى المخطوطات والمؤلفات المكتوبة باللغة المصرية، إلى طمس العديد من مظاهر الحضارة المصرية وثقافتها، وأصبح من النادر أن نجد بين المصريين- بوجه عام- من يتقن كتابة لغته ويفقه محتواها الثقافى. مما سهل على العرب، بعد غزوهم لمصر، إحلال الحروف النبطية محل الحروف القبطية/اليونانية فى كتابة اللغة المصرية.
هكذا اتبع وتابع الحكام العرب والمسلمون فى مصر سياسة الرومان. ففى السنوات الأولى من حكم العرب لمصر لجأوا إلى كُتاب الدواوين الذين كانوا يعملون فى ظل الإدارة الرومانية البيزنطية ليديروا لهم شئون البلاد. ولما كان هؤلاء الكُتاب يمارسون عملهم على أساس استخدام اللغة اليونانية الى جوار اللغة المصرية المكتوبة بالحروف اليونانية، فقد أمروا فى أول الأمر بكتابة الألسنة العربية بالحروف اليونانية (7)، ومع الوقت أمروا باستبعاد الحروف اليونانية وأحلوا محلها الحروف النبطية (8). وتطلب ذلك من كتاب الدواوين أن يطوروا كتابة الألسن العربية واللغة

المصرية بالحروف النبطية - وهى الحروف التى طورها المصريون لتكون آخر أشكال كتابة اللغة المصرية ..
وبالتدريج اندثرت حروف الكتابة اليونانية وسادت الحروف النبطية فى شكلها الجديد وابتلعت بعض صوتيات اللغة المصرية (9) وان ظلت قاصرة عن استيعاب بقية أصواتها.

وفيما يلى نقوش نبطية قديمة.



نقش أم الجمال، كتابة نبطية حوالي عام 270 م.ونصه بحروفنا الحالية: دنه (هذا) نقشو (قبر) فهرو/ بن سلى ربو (زعيم) جذيمة / ملك تنوخ.



أنا شرحبيل بن ظلمو بنيت ذا (علامة الصليب) المرطول (الكنيسة) / سنة 463 بعد مفسد / خيبر/ بعم(بعام).

استمرار المفردات المصرية القديمة بصوتياتها فى لغتنا حتى اليوم

المصريون لهم اشكل مميز فى إبداعاتهم الفنية واللغوية خاصة فى الموسيقى المصرية الأصيلة المتمثلة فى الأغانى الشعبية والريفية القديمة والإنشاد الدينى المستمدة من الموسيقى المصرية القديمة (الفرعونية) كذلك أيضا يوجد الكثير من الموروث من الحضارة المصرية القديمة فى لغتنا المعاصرة.

ففي المصرية التي نتكلمها حالياً، يوجد عدد لا يحصى من الكلمات المصرية القديمة المتداولة منذ زمن الفراعنة واستمرت حتى وقتنا هذا، وها هى بعض هذه الكلمات على سبيل المثال فقط وليس الحصر:

- سُك: الباب أى أغلقه، فكلمة سُك كلمة مصرية أصلية.
- أدينى: أدينى الكتاب ده، فكلمة دينى أيضا كلمة مصرية بمعنى أعطينى.
- فوطه: بمعنى منشفة.
- أوطه: بمعنى ثمرة عامة أو ثمرة الطماطم فى لهجة سكان القاهرة.
- أُنكُت: فى الريف يقال إنكُت العصايا دى فى الأرض يعنى اغرزها فى الأرض.
- أمَر العيش: بمعنى سخن العيش أو أخبزه.
- لُبشة قصب: مجموعة عيدان.

ولكننا فى مجال تأثير اللغات على بعضها لا نعتد كثيرا بانتقال الكلمات فيما بينها ولكن نعول على التأثيرات ذات الصلة بقواعد هذه اللغات التى تحدد لنا معنى الجملة فى النهاية وليس كلماتها فقط كما سنوضح فيما يلى.

قواعد لغتنا المصرية المعاصرة مازالت تتبع نفس قواعدها منذ القدم.

إن قواعد المصرية التى نتكلمها مستمدة فى أغلبها الأعم من قواعد اللغة المصرية التى عرفناها وتطورت منذ فجر التاريخ وحتى اليوم. واليكم بعض الأمثلة على ذلك. عندما نقول:

*ما تقفل الباب كويس، أو ما توطى صوتك شوية، وهى غير ما فى العربية القديمة فكلمة ما هي الأداة المستخدمة لتكوين فعل الأمر فى اللغة المصرية.

كما أن الاستفهام فى اللغة المصرية بالصيغة وليس بأداة الاستفهام، فعندما نقول "أنت خارج النهارده؟ "لم نستخدم أداة الاستفهام "هل" وذلك لأن الاستفهام فى اللغة المصرية كان بالصيغة فى غالبية الأحوال وليس بأداة الاستفهام وقد انتقل ذلك إلى المصرية الحالية.

*اللغة المصرية لا تعرف الضمير: (هُن) للمؤنث، كما هو الحال فى اللغة الإنجليزية أيضا فنحن نقول:

البنات دول كراساتهم فين؟ فين كتبهم؟ أو هم راحوا فين؟، ولم نقل كراساتهن أو كتبهن، إلى أين ذهبن؟. وذلك لأن الضمير المعبر عن الجماعة واحد بالنسبة للمذكر أو المؤنث.

*وفى مجال التعبير الدارج نقول: سامى أخذ سارة، بمعنى تزوجها. حيث أن (أخذ) بمعنى تزوج بلغتنا المصرية.

*كما أن أداة الاستفهام لا تأتى فى أول الجملة المصرية: فنحن نقول: أنت رايح فين الليلة دى؟. وليس أين ستذهب هذه الليلة؟. وذلك لأن موقع أداة الاستفهام فى الجملة يتبع نفس قواعد لغة مصر الأصلية وليس العربية.

*واسم الإشارة يأتى بعد الاسم وليس قبله كما فى: الليلة دى. وليس هذه الليلة...... ألخ.

بين استمرارية اللغة المصرية وفشل محاولات تأسيس قواعد لغوية للألسنة العربية.

يبقى فى النهاية سؤال هام.. هل كتابة اللغة المصرية الحالية بالحروف ذات الأصول النبطية قد قضى على اللغة المصرية (10).. أم أن اللغة المصرية امتدت

وتطورت فى ثوب الحروف (الجديدة) المتطورة عن النبطية ثم خرجت الى البلدان المحيطة بها وسادت، حتى أن هذه البلدان عندما أرادت أن تعرف لغة لها مستواها الحضارى والثقافى الواسع، لم تعرفها الا على يد العلماء المصريين منذ إنشاء دواوين الكتابة المصرية، وخاصة ديوان الإنشا، وجامعة الأزهر فى القاهرة بل ومدرسوا بعثات تعليم اللغة التى أرسلتها الدولة المصرية منذ أوائل القرن العشرين وحتى اليوم للبلدان المحيطة بها ، ولو أردنا أن نتعلم العربية لجلبنا من هذه البلدان من علمنا لغتهم (العربية المزعومة) بدلا من أن نعلمهم لغتنا المصرية.

وللإجابة المستفيضة على السؤال السابق فان الأمر يحتاج إلى كتابة موسعة شبه إحصائية وتاريخية عن دور دواوين الكتابة المصرية خاصة ديوان الإنشا (ديوان المكاتبات والرسايل) والأزهر والبعثات المصرية التى علمت أهل هذه البلدان اللغة المصرية قراءة وكتابة.

ولكن يكفى أن نذكر هنا ما يأتى عن مؤسسة من أهم مؤسسات الدولة فى مصر منذ القرن التاسع الميلادى وهى مؤسسة ديوان الرسايل "ديوان الإنشا" التى كانت حلقة الوصل الأساسية بين الدولة والمتعاملين معها فى داخل مصر وخارجها. وكان من أهم كتابها "ابن عبد كان" الذى بلغ من شهرته "أن أهل مدينة السلام (بغداد عاصمة الخلافة العباسية) كانوا يحسدون أهل مصر عليه ويقولون بمصر كاتب ومحرر ليس لأمير المؤمنين بمدينة السلام مثله.."

وكانت رسايله تقاليد ، يسير عليها الكتاب من بعده، ويتابعونه فيه. ذلك أن عاصمة الخلافة العباسية لم تعرف الكتابة بالحروف النبطية/العربية إلا بعد فترة طويلة من تطويرها فى مصر .
وكان ابن " عبد كان " يمتحن من يرغب فى الالتحاق بديوان الإنشا من المصريين وغيرهم، هذا الديوان الذى كان قد بلغ منزلة رفيعة جعلت الكثير من الكتاب العباسيين فى بغداد ، يتلمسون السبل للحاق به، فيدون ياقوت (الحموى) حديثا عن ابن زولاق المؤرخ المصرى فحواه "أن أبا يعقوب اسحاق ابن نصير البغدادى قدم من العراق على ابن عبد كان والتمس منه التصرف.
وقدم إلى مصر فى هذه الفترة كذلك محمد ابن جرير الطبرى فسار إلى الفسطاط وأخذ عن أهل العلم بمصر الكثير من علوم مالك والشافعى وابن وهب وغيرهم .
كما يذكر أبن الأثير فى كتابه " الوشى المرقوم " ص 179 / 180 : (وحدثنى عبد الرحيم بن على البيسانى رحمه اللـه بمدينة دمشق فى سنة ثمان و ثمانين وخمسماية، وكان إذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية، فقال: كان فن الكتابة بمصر فى زمن الدولة العلوية (الفاطمية) غضا طريا، وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من رأس يرأسه مكانا و بيانا ، ويقيم لسلطانه بقلمه سلطانا. وكان من العادة أن كلا من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولد وشدا شيا من علم الأدب أحضره إلى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة، ويتدرب، ويرى، ويسمع . قال: فأرسلنى والدى، وكان إذ ذاك قاضيا

بثغر عسقلان، إلى الديار المصرية فى أيام الحافظ (الخليفة الفاطمى حكم فى الفترة من 1129 إلى 1149 م.) وهو أحد خلفائها، وأمرنى بالمسير إلى ديوان المكاتبات ، وكان الذى يرأس به فى تلك الأيام رجلا يقال له أبن الخلال (هو موفق الدين أبو الحجاج يوسف أبن محمد أبن الخلال المصرى الكاتب، وكان ممن تدرب على يديه القاضى الفاضل، أنظر: وفيات الأعيان 7 / 219). فلما حضرت الديوان مثلت بين يديه وعرفته من أنا، وما طلبتى، رحب بى وسهل، ثم قال: ما الذى أعددت لفن الكتابة من الآلات. فقلت: ليس عندى شىء سوى أنى أحفظ القرآن وكتاب الحماسة. فقال: فى هذا بلاغ . ثم أمرنى بملازمته).

وهكذا فى الوقت الذى ضعفت فيه الخلافة العباسية حتى أصبحت سلطة الخليفة لا تتعدى حدود بغداد كانت مصر تحت حكم الطولونيين ومن تلاهم من الأخشيديين والفاطميين والأيوبيين، تتسع حدودها إلى اليمن والحجاز والنوبة جنوبا والشام شمالا وبلاد المغرب غربا.

وباستقرار الخلافة الفاطمية فى مصر انطلقت اللغة المصرية وتنوعت فنونها الفصيحة معتمدة فى ذلك على التراث الفنى المصرى الشعبى الذى احتوته اللغة المصرية فى طورها الرسمى الحديث. فظهرت فنون السير والقصص التى ازدهرت طوال العصور التالية تحت الحكم المملوكى فالعثمانى، إلى جانب

فنون الموال والزجل والأغانى والعديد. ويجب أن نذكر هنا ملحوظة هامة ألا وهى أن انتشار اللغة المصرية بين أهل البلدان المحيطة بها كان يتم على مستواها الرسمى لا الشعبى، لأن اللغة لاتستعار من بلد لآخر إلا فى المستوى الرسمى فهذا ما كان يطلبه الشعراء والمثقفون والإدارات الحكومية والرسمية فى تلك البلدان. مع ملاحظة أن البلدان التى يستعير أهلها لغة الأجنبى، كالإنجليزية فى الهند والفرنسية فى بعض مستعمراتها، يظلون أسرى تطوير هذه اللغة فى بلدها الأصلى حيث يوجد المستوى الشعبى لها، وهو المنوط بتطويرها فى مستواها الرسمى. من هذه النقطة بالذات استعار أهالى البلدان المحيطة بمصر لغتها المصرية فى مستواها الرسمى ، بشكل أساسى وإن كان ذلك لم يمنع استعارتهم للعديد من الفاظ وتراكيب المستوى الشعبى للغة المصرية.

ونعود فنذكر بأن الأصل فى اللغة هى الأصوات أى الكلمات المتفق عليها بين الجماعة فى مدلولاتها ثم تراكيبها النحوية والصرفية، ولكن وصول الإنسان المصرى منذ فجر التاريخ إلى فعل الكتابة وأنماطها كان له أثر عظيم فى حفظ اللغة المصرية وتراثها العلمى والأدبى وتطويرها، وبالتالى فى تقدم البشرية وإرساء حضارتها، ومن هنا ندرك مدى أهمية الكاتب المصرى الذى خلد فى تماثيله العديدة و ديوان الإنشاء فيما بعد. فقد ساعدت اللغة المكتوبة على أن تحول الزمن والأحداث إلى تاريخ، والأرض والفضاء إلى

جغرافيا، وهذا ما كان ينقص القبايل البدوية العربية قديما وحديثا ، الكتابة = التاريخ ، الوطن = الجغرافيا.

مشكلات الألسنة العربية وتدهورها

لم يصل علماء اللغة لتحديد محقق لنشأة الألسنة العربية والفاظها، وذلك فى مقابل المعرفة الدقيقة لنشأة اللغة المصرية، وان أجمع أغلبهم على أنها انحدرت من البلدان المحيطة بالجزيرة العربية خاصة من اليمن والحبشة فى الجنوب والأنباط والآراميين فى الشمال والفرس فى الشرق والمصريين فى الغرب، خاصة فى منطقة سيناء حيث كان التجار العرب و الأنباط يفدون إلى غزة بصفتها مدينة تجارية كبرى وميناء بحرى يتعامل تجارياً مع السلع المصرية وكل سلع بلدان البحر المتوسط من حيثيين ويونان ورومان وغيرهم، وبالتالى تكتسب ألسنة هذه القبايل العربية العديد من تراكيب اللغة المصرية والفاظها، بل أن بعض فروع هذه القبايل العربية والنبطية استقرت فى غرب مصر لفترات قديمة وخاصة فى سيناء والصحراء الشرقية مثل طيء وبلى وبعض من خزاعة وتأثرت باللغة المصرية، وفى ذلك يوضح د.أحمد مختار عمر فى كتابه "تاريخ اللغة العربية فى مصر" أثر هذه التجارة والاستقرار على الألسنة العربية والنبطية فيقول: (و قد كان نفوذ اللغة

المصرية على اللغة العربية كبيراً) حيث واجهوا قوما أكثر منهم حضارة وتقدماً.

والسبب الأساسى لتعدد لغات الجزيرة العربية يعود فى الغالب إلى اتساع أبعادها وعزلة قبايلها بسبب الصحارى المحيطة بهم وخضوعها للمؤثرات الثقافات المحيطة بها. والدليل على ذلك أن كل هذه القبايل بالرغم من أنها كانت تعيش فى ظروف صحراوية متشابهة ويقومون بنفس الأعمال إلا أنها تفرقت فى تسمية نفس الأشياء المحيطة بهم. فلو أخذنا زراعة النخل لوجدنا "الأزد" فى شرق الجزيرة، وأهل عُمان والبحرين واليمامة ينطقون كلمة "الكرب" إذا قطع الجريد عنه، فبقيت له أطراف طوال: "القذف". أما أهل المدينة فى شمال غرب الجزيرة فينطقوه "الكرانيف". أما السعفات فينطقها أهل نجد "الخوافى" ويسميها أهل الحجاز "العواهن"، أما الطلع فى البصرة فهو "العذق" وينطقها أهل الحجاز "الكافور" و "الأغريض".

كما تختلف هذه القبايل فى أسم التمر، فأهل اليمن وطيء ينطقوه "رمخ "، وفى المدينة هو "السَّدى"، وفى وادى القرى هو "السياب"، وأهل البصرة يقولوها "الخلال". أما اسم مخزن التمر فهو "الحظيرة" و"المسطح" و"الجرين" فى نجد والحجاز.

وبالإضافة للسبب السابق الذى أدى إلى احتشاد عدد هائل من الألفاظ ذات المعانى المختلفة، أو المترادفة لنفس الشئ، فى ألسنة هذه القبائل، اتضحت عندما جمعت فى القواميس، فقد ظهرت مشكلة غريبة تسمى بظاهرة التضاد وهى أن بعض ألفاظ هذه الألسنة كانت ذات معنى فى قبيلة و نقيضها فى قبيلة أخرى، مثال ذلك ما نرصده هنا من كتاب "الأضداد فى كلام العرب" لأبى الطيب عبد الواحد بن على اللغوى الحلبى المتوفى عام 351هـ تحقيق د.عزه حسين، نشره المجمع العلمى العربى بدمشق 1963:

الآدم= الأبيض والأسود. المأتم= تجمّع الفرح وتجّمع الحزن. البسل= الحلال والحرام. البيّع= البيع والشراء. البثر= القليل والوفير. البينُ= الافتراق والاتصال. بعْد= المتأخر والمتقدم. التربُ= الفقير والغنى. الثمُ = فعل القتل وفعل الخير. الثّلّةُ=القليل والكثير. جللُ= عظيم وهين. الجربةً= الضعيف والقوى. الجون= الأبيض والأسود. الجعدُ= البخيل والسخى. الجمهرةً= الكثير والقليل. الحميمُ= البارد والحار. الحضارة= البادية والحضر. حرس الشئ= حفظه وسرقه.الحنيف= الساعى للخير والساعى للشر. الدائم= الساكن والمتحرك. دونك= خلفك وأمامك. دعك= طويل وقصير. الذفر=الريح الطيبة والريح المنتنة. الرهو= الارتفاع و الانخفاض. السدف= الظلمة والضوء. السليم= الملدوغ والسَّالم. السر= الخفى والعلن. المسجور= المملوء والفارغ. شام سيفه= إذا سلّه أو أغمده. الشوهاء=القبيحة والجميلة.

الشفيف= شدة الحر و شدة البرد. المشيب= العجوز والشباب. الضدّ= المثل والمخالف. ضاع= أختفى وظهر. عسعس= اقبل وادبر.

وغير ذلك كثير من الفاظ التضاد التى سوف تغربله لغتنا المصرية لتستوعب بعضها و تلفظ الآخر و حتى ما ستختاره سوف تدخل عليه تعديلاتها حتى يستقر فى سياقها سواء من ناحية الصوتيات أو القواعد أو استقرار هذه الألفاظ على معان محددة لا تقبل تضادها و تستبعدها من تراث كتابتها.

فشل محاولات المستعربين لصنع قواعد صرفية و نحوية للألسنة العربية

وعندما قامت محاولات عديدة وشاقة لجمع مفردات وألفاظ الألسنة العربية من بين القبايل العربية من أجل التعرف على قاموس للسان العرب، ظهرت عدة مشاكل أمام النحاة العروبيين كان أهمها، ليس فقط أختلاف مدلولات ألفاظهم، بل وتضادها كما أوضحنا فى الأمثلة السابقة.

أضف لذلك اللفظة التى تدل على ستة معان فسبعة فثمانى فتسعة إلى خمسة و عشرين معنى كالحميم والفن والوطيس، ومنها ما يزيد على ذلك مثل العين (35 معنى) والعجوز (60 معنى) الخ .. والمهم فى

هذا الصدد أن علماء اللغة المحدثون يرون أن التفكير كلما دق فى تمثيله و تصويره أحكم اختيار الألفاظ، أما هذه المترادفات فإلى جانب دلالتها على التشتت وتعدد المصادر فأنه دليل على أن التفكير غير صارم فى وضوحه و يؤدى إلى خلافات عديدة، فالوضوح لا يقبل كلمتين لمعنى واحد، واللغة، فى أحد مفاهيمها، انعكاس للحياة، و الحياة لا تبذخ .. كل شىء يأتى فى مركزه المحتوم، ناهيك عن مأساة ألفاظ التضاد.

من هنا كذلك نلاحظ أن السنة العرب تلفيقية تفتقد قدرات الربط الدقيق بين مفرداتها خاصة فى الجمل الوصفية، فتأتى جملها غير واقعية تتسم بالإطلاق دون مراعاة لمنطق التحولات، فهى تقول (الرجل شجاع) وهى جملة تفيد الإخبار الثابت المؤكد دون حاجة إلى التصريح بوجود علاقة ما نطقا أو كتابة، فالمسند و المسند إليه دون رابطة و دون فعل الكينونة أو أى رمز آخر من رموز اللغة أو أمر من أمور الحس، بينما نجد فعل الكينونة etre فى الفرنسية و to be فى الأنجليزية يربط بين المسند والمسند إليه ومن شأنها أن تربط بين (الموضوع) و(المحمول) اثباتا أو نفيا أو سلبا، صدقا أو كذبا، فتصبح صياغة الجملة عندهم (الرجل يكون شجاع) أو (الرجل كان شجاع) أو (الرجل هو شجاع) ذلك أن اللغات الأوربية الحديثة تقوم على التماس شهادة خارجية حسية لكل قضية عقلية، فمصدر اليقين أو التكذيب هو مدى مطابقة ما فى العقل لما هو خارج العقل.

وكمثال على هذا ننظر إلى حديث الخليفة المعتصم مع أشناس التركى، القيم على السلاح، الذى أحضر له كلبا للصيد فرده عليه الخليفة حين اكتشف أنه غير جيد و كان يعرج، فأعترض أشناس قائلا :

الكلب أخذت جيد
مكسور رجل جبت
رد جيد كما
كلب كنت أخذت .

وأجابه الخليفة قائلا :
الكلب كان يعرج
يوم الذى به بعثت
لو كان جاء مجبر
أجبر رجل كلب أنت .

ولعل ذلك الحديث يعطينا فكرة عن حال عربية العصر العباسى الذى يعد من أزهى العصور الأسلامية العربية. وما قدمه النحاة الفارسيين أمثال سيبويه وغيره فى ظل هذه الخلافة، من محاولات فاشلة لنظم الألسنة العربية فى بعض قواعد اللغة الفارسية التى لم يعرفوا سواها، وكان هذا الفشل عائدا إلى عدم امكانية اللغة الفارسية على استيعاب الألسنة العربية المختلفة، مما أدى إلى العديد من المشاكل اللغوية فى هذه الألسنة التى حاول النحاة العروبيون المتأثرون بقواعد اللغة الفارسية أن يعالجوها فيما بعد

دون جدوى. وهذا ما يحاوله النحاة العروبيون الجدد فى وقتنا الحالى لكى يعودوا بنا إلى هذه المشاكل القديمة التى لم تحل وهم أنفسهم لا يملكون لها حلا.

من هذه المشاكل أن هناك منطق لسانى غريب تختص به العربية فيما تعرفه بظاهرة الأعلال، فالأعلال عندهم هو نسبة إلى حروف العلة التى هى حروف المد (الواو، الياء، الألف) وألحقوا بها الهمزة، بينما علم الألسنية يرى أنها مصوتات لا فرق بينها وبين الضمة والكسرة والفتحة إلا بطول المدى الزمنى فى الأولى و قصرها فى الثانية، إلا أن النحاة العروبيين قد اعتبروا الضمة والكسرة والفتحة حركات خارجة عن الكلمة وذات قيمة ثانوية فعاملوها غير معاملة حروف العلة مما أدى بهم إلى استنباط قواعد غير دقيقة. ثم ما معنى القول بأن الفعل الماضى مبنى على الفتح أو السكون؟ .. أو أن الفعل المضارع مرفوع بالضمة أو منصوب بالفتحة؟.

إن فكرة البناء أو الإعراب فى الأفعال لا تشير إلى وظيفة تؤديها هذه الحركات، وأن قول النحاة العروبيون بأن الفعل المضارع فعل معرب قول غير صحيح .. لأن الإعراب يعنى الرفع أو النصب أو الجر، والفعل المضارع لا يقع مجرورا أبدا ولا يكون منونا، كما أن الأعراب والبناء صفتان فقط للأسماء دون الأفعال.

فشل الترقيع بإضافة الأعراب إلى الألسنة العربية

وبالرغم من ذلك نرى اليوم أحد العروبيين فى مصر وهو الدكتور شوقى ضيف يقول فى كتابه (تحريفات العامية للفصحى) الصادر عن دار المعارف فى ص 13 :إن جريمة إهمال الإعراب فى مصر وصل إلى حد أن ابن برى العالم اللغوى الطائر الصيت المتوفى سنة 582 هـ (أى فى القرن 12م) عرف بإهماله للإعراب، وكذلك الشاعر ابن سناء الملك فى كتابه (دار الطراز) الذى يقول فى موشحه السادس: "فرجعت خايب .. حين فر هارب"، وفى الموشح 18: "غزالا فاتر الأجفان فاتن" ، وفى الموشح 21: "قولا صحيح"، وفى الموشح 23: "كنت غادر .. طرفا فاتر.. سيفا باتر"، وفى الموشح 24: "ما أرانى راضى"، وفى الموشح 25: "لم أكن ذاهل .. لم أكن قاتل".

وهكذا نرى مدى العبث فى تعليم أولادنا قواعد لغوية بالية تجعل من علم النحو أصعب العلوم وأبغضها إلى نفسه وذهنه الجديد. فالمقصود أولاً وأخيراً من تعلم النحو هو تعلم صياغة الكلام وبلاغته بدلاً من أن نتعلم

متاهات نحوية متناقضة بالية تفقدنا القدرة على الكلام المنطقى والعلمى، وتضعنا فى مصاف أربعة أخماس حملة الدكتوراه والليسانس فى جامعاتنا ومشعوذى مجامع ما يسمى باللغة العربية و مصفقى الجمعيات التى تدعى المحافظة على اللغة العربية (كذا) الذين يحاولون التشبث بقواعد أكل الزمان عليها وشرب.

ولننظر الآن إلى بعض أمراض هذه القواعد. لقد رأى الصرفيون العروبيون أن أكثر ألفاظ العربية يمكن ردها إلى أصول ثلاثة.. فأتوا بما يسمى بالميزان الصرفى ووضعوا وزن (فعل) ليشتقوا منه بقية الأوزان وسموا الصامت الأول (فاء الفعل) والثانى (عينه) والثالث (لامه)، نسبة إلى صوامت (فعل). وهم بذلك قد اهتموا بالصوامت دون المصوتات التى اعتبروها معتلة لاتثبت على حال ولا يمكن الركون إليها، وبدءوا يزنون الأفعال من مجردة ومزيدة، ولكنهم ما أن وصلوا إلى الفعل المعتل (أى ما كان فيه حرف علة) لم يستجب الوزن لهذه الحالة، إذ أن وزن (قال) لايمكن أن يكون (فعل). لذلك كان لابد من اللجوء إلى الزعم والأفتراض فأتوا بأصلين مزعومين هما (قول) و (بيع) لأن المصوت الثانى فى (قول) هو الواو و فى (بيع) هو الالياء، ورأوا أن يقلبوا كلا منهما إلى (ألف) إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما، أى أن (قول) تصبح قال) و (بيع) تصبح (باع) دون أن يظهروا لماذا تنقلب (الواو) و (الياء) إلى (ألف)، مع

أن مخرج كل من (الواو) و (الياء) و (الألف) مختلف عن مخرج الآخر، كما أن أى تغير فى الدال يلزم أن يتبعه تغير فى المدلول. ومع هذا فقد أوقعهم ذلك فى تعقيدات لا حصر لها حيث واجهوا كلمات لا يمكن أن تنقلب فيها (الواو) أو (الياء) إلى (الألف)، فراحوا يحصونها ويضعون لها الشروط حتى بلغ عددها عشرة شروط مما يجعل مسألة الإعلال من أعقد مسائل الصرف العروبى.

ثم أن الألسنة العربية تصر على أن تنفرد بنسيج خاص إذا حاد اللفظ عنه صار غير عربى وهى بذلك قد وضعت كثيرا من العراقيل فى سبيل تطورها وتحولها إلى لغة سليمة، فالصاد لا تجتمع مع الجيم فى كلمة، كذلك النون قبل الراء، الزاى بعد الدال، الباء والسين والذال وغيرها، كما أنه لابد من توفر حرف من حروف الذلاقة (م ن ع ل ب ف) فى الرباعى والخماسى.. ونرى ابراهيم أنيس يقول فى كتابه " دلالة الألفاظ ": (و بذلك تخيرت العربية مجموعات صوتية محدودة هى التى اختصتها بالدلالة و أهملت الكثرة الغالبة).

من اسباب استقرار اللغة المصرية
وفشل الألسنة العربية فى تكوين لغة سليمة

وهنا يجب أن نتساءل عن أسباب استقرار اللغة المصرية وفشل اللسان العربى فى مجال نوع الجملة بالذات ؟..

إذا رجعنا لحقبة سابقة من الزمن قبل الغزو العربى سنجد أن المصريين كانوا يعيشون فى مجتمعهم الزراعى وقد وجدوا أنفسهم يقدمون الفاعل عن الفعل ويستبدلون بأسماء الإشارة أسماء تحديد وغيرها من النظم الخاصة بتركيب لغتهم المناسبة للتعبير عن واقع حياتهم الموضوعية الخاصة.. وأن المجتمع الزراعى يمثل حياة تحمل فى طياتها الانتقال من الاحتياجات العامة إلى الخاصة.. ومن التعبير عن العواطف والأفكار القبلية إلى العواطف والأفكار الفردية، فيبرز كيان الفرد ويتميز كل فرد بفعله إلى جوار حريته فى التعبير عن شخصه وشخصيته.. وأنه فى ذلك المجتمع الزراعى، حيث تتضح سيطرة الإنسان على الطبيعة وتتكاثر الأفعال وتكتسب الشخصية الفردية التحديد والبروز لأنه من آليات حرفة الزراعة تقسيم العمل وتنظيم الأفعال وتوزيع الأدوار فيكون بالتالى من المعروف نسبة كل فعل إلى فاعله وهكذا يكون من ضرورات التعبير فى هذه الظروف أن يسبق الفاعل فعله وأن يأتى الفعل منسوبا إليه. ثم أن بروز الشخصية الفردية وتعدد الأفعال وقيام العمل على المجهود الفردى وتوزيع الأعمال والمسئوليات هو الأساس فى قيام اللغة المصرية بالإستعانة بأسماء التحديد.. (الراجل دا هوه العمدة) (البنت دى حلبت البقرة) (الفلاحين دول حولوا الميه).

وفى الحقبة نفسها من الزمن كانت القبايل العربية تعيش فى مجتمعهم القبلى وقد وجدوا أنفسهم يرفعون الفاعل وينصبون المفعول ويقدمون أسم الأشارة عن المشار إليه، وتأنيث جمع المذكر مثال ذلك " جاءت السيارة " و" قالت الأعراب " و" المهاجرة " بدلا من المهاجرين. إلى جانب العديد من النظم الخاصة بتراكيب لسانهم الملائمة للتعبير عن شروط حياتهم الموضوعية الخاصة، مثل وضع الصفة بعد الموصوف، فنحن نقول "طيّب الرائحة" عكس العربية التى تقول "رائحته طيبة "، ونقول " حسن الحظ " بدلاً من " حظ حسن " و" ضيِّق اليد " بدلاً من " يده ضيقة ".

وأن عرفنا أنه من طبيعة الحياة البدوية القبلية، حتى فى مرحلة التجارة الأكثر تقدما، أن تكبح التعبير عن النوازع الفردية ، حيث لا يستمد الأفراد وجودهم إلا من معنويات القبيلة وشخصيتها، فيصبح الفرد جزءا من القبيلة يعمم أفكاره ويعمم مشاعره وآراءه. و أنه فى مثل هذا المجتمع، حيث تمتد الصحراء رملية قاسية مقفرة، لابد أن يقل أثر الإنسان على الطبيعة وأن يتخذ الفعل عليها أهمية كبرى.. وأن يتضح الفعل قبل اتضاح فاعله.. فتظهر آثار الأقدام قبل ظهور فاعلها.. ويتعالى دخان النار قبل معرفة مشعلها.. ويمتلىءالأفق بالغبار قبل قدوم من أثاره.. ربما كان ذلك من أسباب تقدم الفعل عن الفاعل لأنه الأسبق إلى التواجد. وقد يفسر لنا ذلك أيضا.. لماذا احتاجت

الألسنة العربية إلى بناء بعض الأفعال للمجهول واسنادها إلى نائب فاعل.. بينما تكاد اللغة المصرية تخلوا منه، فندرة فعل الأنسان فى البيئة الصحراوية، وحتى فى مرحلة التجارة المحدودة، و تضاؤل نتاجه وتواجد آثار أفعال تفتقر إلى فاعل معروف هى سبب وجود الأفعال المبنية للمجهول. بينما يلمس الأنسان فى البيئة الزراعية مدى قدرته على تنظيم الرى وتخصيب الأرض وإنبات الزرع ومشاهدة نتاج أفعاله، خاصة وأن فعل الزراعة هو محصلة نشاط بشرى يغلب عليه الطابع الفردى من حرث و بذر و حصاد، فوراء كل فعل ظاهر فاعل معلوم فى أغلب الأحيان.

ويهمنا هنا أن نعرف أثر نظام النحو والصرف فى تاريخ البشرية، فكل لهجة أو لغة لابد أن يكون لها نظام للنحو والصرف وإلا استحال أن يتم التفاهم بين أفراد المجتمع الواحد، فالنحو هو الذى يقيم العلاقات بين الكلمات ويحدد وظيفتها فى كل جملة بما يجعل الجملة فى النهاية حاملة للفكرة مبرزة لها، ولو لم يوجد نظام للنحو فى اللغات الأولى على أى وجه من الوجوه للحقت البشرية بالديناصورات وانقرضت من فوق الأرض، فما حفظ بقاء الإنسان حيا إلى اليوم إلا أنه قد نجح فى أن ينتج وينقل أفكاره واضحة إلى الآخرين مما ساعدهم على التجمع والتعاون والعمل والإنتاج والسيطرة على فوضى الطبيعة ووضعها فى

منظومة تسمح بتسخيرها لنفعهم، والتكتل لمقاومة عوامل الفناء والانقراض المتعددة من حولهم.
أن نظام النحو والصرف المصرى مازال فى معظمه وما تطور عنه الأساس الذى تتشكل عليه لغتنا الحالية، أما ذلك الاختلاف بين لغتنا المصرية واللسان العربى فيعود إلى اختلاف البيئة والثقافة فى كل من المجتمعين و تباين شروط الحياة المادية فى كل منهما.

فنحن مثلا فى لغتنا المنطوقة لا نستعمل أسماء الاشارة العربية.. *هذا وهذه وهذان وهذين وهاتان وهاتين وهؤلاء* فلا نقول *(هذا الولد)* و *(هذه البنت)* *بل نقول (الولد دا)* و *(البنت دى)*. ثم أننا مع المثنى المذكر والمؤنث وكذلك مع الجمع المذكر والمؤنث نتعامل باسم واحد هو *(دول)* *فنقول (الولدين دول)* *و(البنتين دول)* *و(الأولاد دول)* *و(البنات دول)* وأن أسماء التحديد ثلاثة فقط هى *(دا)* *و(دى)* *و(دول)* وهى لا تسبق الاسم بل تأتى بعده .. فاللغة المصرية القديمة لا تتعامل بأية أسماء للإشارة بل تتعامل بأسماء التحديد.. ولا يختلف اسم التحديد باختلاف المحدد أو وضعه فى الجملة فتتغير بنيته بالنصب أو الرفع أو غيره.. وأن هذا النظام الذى نتعامل به فى لغتنا المنطوقة الحالية هو نفسه نظام لغتنا المصرية القديمة.
وإذا كنا فى الاسم الموصول لا نستعمل *(الذى)* *(التى)* *و(اللذان)* *و(اللذين)* *و(اللتان)* *أو(اللتين)* *نستعمل* موصول واحد فقط هو *(اّللى)* فذلك راجع

إلى أن المصريين القدماء كانوا يستعملون اسما واحدا للموصول فى جميع الحالات مثلما نفعل الأن تماما، إلى جانب استخداماتها العديدة فى أمثالنا مثل: "اللى أوله شرط آخره نور" و"اللى اختشوا ماتوا" و"اللى تسكر به افطر به" و"اللى تصاحبه ما تقابحه" و"اللى تجمعه النمله فى سنه ياخده الجمل فى خفه" و"اللى تغلب به العب به".

أما المعرف بالنداء فهو يقتصر فى لغتنا على المفرد المذكر والمؤنث ثم الجمع بنوعيه.. نقول (*يا ولد،يا بنت*،يا أولاد، يا بنات) لا غير .. ولا يوجد معرف بالنداء للمثنى .. مذكرا كان أو مؤنثا .. فنحن لا نقول (يا ولدين) و (يا بنتين) بل ننادى عليهما (يا أولاد) و(يا بنات).

وفى الضمائر يذكر أنه لا يفرق بين الجمع المؤنث أو الجمع المذكر *فيقال (هم فى البيت)* للدلالة على الجمعين، كما لا توجد ضمائر للمثنى الذى يعامل دائما معاملة الجمع فى اللغة المصرية القديمة كما هى الحال فى لغتنا الحالية.

وتجدر ملاحظة أن جميع اللغات الحديثة الحية قد ألغت صيغة المثنى منها نهائيا مما يؤكد حيوية اللغة المصرية قديما وحديثا ومواكبتها لتطور الحياة.

وننتقل إلى مزيد من من الإثباتات التى تؤكد استمرارية اللغة المصرية وتطورها عبر التاريخ فى الوقت الذى انحسر فيه اللسان العربى، ففى الوقت الذى يلزم فيه اللسان العربى كل فعل بأن يتقدم

جملته.. فتغلب عليه صيغة الجملة الفعلية، فأن اللغة المصرية تبدأ بالفاعل قبل الفعل فتغلب عليها الجمل الأسمية.. (جاء الولد) فى العربية تقابلها (الولد جا) فى اللغة المصرية.. ونكتشف أن ذلك من أهم خواص اللغة المصرية.

ولعل أهم ما طورته اللغة المصرية على ما تتعامل به من أفعال هو زمن جديد لفعل يمثل الاستمرارية continuous tense وذلك بإضافة حرف بسيط وهو (الباء) إلى الفعل المضارع، واستعمال كان أو مشتقاتها للتعبير عن فعل الاستمرار فى الماضى.. كما فى *(يشرب) (بيشرب) و (كان بيشرب).*

من كل ما سبق نلاحظ فشل النحاة الفارسيين والعروبيين (القدماء والمحدثين) فى حل مشكلات الألسنة العربية، وهذا ما نجحت فيه اللغة المصرية التى انتخبت من هذه الألسنة العربية بعض ألفاظها وأسكنتها فى داخل قواعدها الصوتية والصرفية إلخ، إلى جانب العديد من الألفاظ الأجنبية الأخرى التى أستوعبتها فى نفس هذه القواعد. فاللغة المصرية منذ القدم كانت ذات تأثير واسع وصاحبة فضل ثقافى كبير على الجزيرة العربية والعالم، وهذا ما جعل اللغة المصرية الأكثر انتشارا فى المناطق المحيطة بها، تلك المناطق التى كانت تتكلم السنة متعددة لا جامع بينها، وذلك بفضل المؤسسات اللغوية المصرية ذات التراث التاريخى العريق مثل دواوين

الإنشاء و البعثات التعليمية المصرية التى نشرت لغتنا المصرية فى المناطق والبلدان المحيطة بنا.

كيف مصرت لغتنا بعض مفردات الألسنة العربية

لأن الألسنة العربية حين وفدت لم تدخل صراعا مع كلمات مصرية تماثلها فى الدلالة والمعنى والوظيفة فقد كان المجتمعان مختلفين فى ظروف الحياة وطبيعة العمل والإنتاج، أحدهما مجتمع رعى وترحال والآخر مجتمع زراعة واستقرار، فقد كتبت الغلبة للكلمات المصرية المعبرة عن دلالات و معانى و وظايف لا تتوفر فى الألسنة العربية.

وهكذا يكون للمصريين مفرداتهم الخاصة، وإن كان بعضها من اللسان العربى فأنها قد تمصرت بالاستعمال الطويل والمرور المضطرد عبر وجدان الشعب المصرى من جيل إلى جيل وتعرضت خلال الزمن إلى عوامل الحذف والإضافة والنحت و التبديل والاشتقاق والترجمة وغيرها نتيجة لتوظيفها فى احتياجات الشعب المصرى التعبيرية وتكيفها مع الحياة المصرية ونموها وتطورها فأختفت مثلا أصوات المد القصيرة من أواخر الكلمات كعلامات الإعراب وحركات البناء الدالة على وظايف الكلمات فى الجملة كرفع الفاعل ونصب المفعول وغيرهما، وتم الاستعاضة عنها بتسكين أواخر الكلمات جميعا

بدون استثناء. فانطبعت بخصائص الجماعة المصرية العقلية و النفسية و اللسانية.

على أن قيام المصريين بتمصير الكلمات التى أخذوها من العربية كان ضرورة لا مفر منها فى ظل احتلال العرب لمصر، وفى نفس الوقت حتى تستقر هذه الكلمات مستريحة غير نابية إلى جوار الكلمات المصرية فى الجمل المصرية وفقا لنظام النحو والصرف المصرى.

استمرت حالة التمصير هذه خلال سبعة قرون بين القرنين السابع والرابع عشر الميلاديين على وجه التقريب كانت لغتنا المصرية قد استقرت تماما وصارت هى لغة الأدب والدواوين والعلوم و الفنون، وبهذه اللغة كتبت معظم أعمالنا التاريخية من امثال كتابات المقريزى وابن إياس وساويرس ابن المقفع وابن مماتى وكوكبة كبيرة من الشعراء وكلها ذات قيمة كبيرة بالنظر إلى تاريخ اللغة المصرية، إذ فيها نجد النصوص الأولى للمصرية الحديثة و الحالية فى صورة متماسكة و متكاملة.

وقد تنبه أحمد رشدى صالح إلى هذه الحقيقة عندما قال فى كتابه "الأدب الشعبى": (والأمر اللافت للنظر حقا أن كثرة الأعمال الأدبية الكبيرة، كألف ليله وليله والسير الشعبية ومسرحيات خيال الضل وبعض دواوين الشعر، قد تمت أواخر تلك القرون أو الفترة

التالية لها، مما يحمل على الظن بأن الأدب المصرى الحديث قد بدأ قبل ذلك بفترة ليست قصيرة، فليس يستطاع انشاء العمل الأدبى الكبير بلغة من اللغات إلا و تكون أعمال أخرى كثيرة أقل منه تركيبا قد سبقته إلى الوجود).

وتؤثر لغة الحياة السريعة المباشرة فى النظام الصرفى مدفوعة بالحاجة إلى التوحيد.. وذلك بتحويل كثير من الكلمات إلى صيغ متشابهة مما يفضى إلى اقصاء العناصر الصرفية الثقيلة النطق أو غير المتداولة أو المشتتة للذهن وخلق عناصر جديدة تفرضها الحاجة إلى تركيز شديد دال وتعبير جديد أو انسجام صوتى فى الاستعمال.. وغالبا ما يتم هذا التوحيد عن طريق القياس لأن قانون الاقتصاد فى الجهد وتجنب اجهاد الذاكرة بما لا يفيد يلعب دورا مهما فى ذلك، بحيث أن الصيغ ذات الغلبة تصير مراكز اشعاع قياسى وتجذب إليها غيرها من كل جانب لأسباب متنوعة.

فى هذا الاتجاه أنظر أوزان الكلمات العربية التالية: مبراة، حدأة، كوب، ملاءة، عصى، بناء، حرباء، مائة، معى. وقارنها بأوزان مرادفاتها بعد تمصيرها وهى: برايه، حدايه، كبايه، ملايه، عصايه، بنايه، حربايه، مايه، معايه. لتتعرف على قدرة اللغة المصرية فى التركيز والاقتصاد واختصار الجهد من

خلال جمع شمل المفردات فى أقل عدد ممكن من الأوزان، وقس على ذلك.

كما يلاحظ أن اللغة المصرية قد استراحت فى القياس إلى أوزان معينة رأتها أقوى تعبيرا وأعمق تأثيرا فحددت تعاملها مع الأوزان (مفعل - فعيل - وفاعل) أحيانا ..وفضلت عليها (فعال وفعلان) انطلاقا من خبرتها الخاصة بهذه الأفعال البدوية ومكابدتها مشقتها وشعورها بأن هذه الأوزان ذات إيقاعات بطيئة غافية لا تصور جهد الفعل ومشقته فمالت إلى الوزن المشدد (فعَّال) بدلا من (فاعل) وكما فى (شغَّال) بدلا من (شاغل) لما يحمله من دلالة الاستمرار والاصرار، كما أن هذا الوزن يتقدم للتعبير عن أسماء المهن والحرف، ومن ذلك "نجّار" و"بنّاء" و"فخّار" و"طبّاخ" و"جبّان" و"لبّان" وزادها القياس فى هذه الوظيفة التعبيرية الجديدة خصوبة و سعة حتى نجدها أيضاً مستعملة لقباً فى مثل "الجمّال" و"البقال" و"الحمّار".. الخ، وكل هذه الأمثلة لصيغة "فَعّال" من أسماء الحرف أتت من قدرات القياس الكبيرة والواسعة للغة المصرية.

وقد وردت صيغة "فَعّال" للدلالة على أصحاب المهن والحرف بكثرة فى اللغة المصرية فى فترة الحروب الصليبية و تحت الحكم الفاطمى مثلما جاء فى السفر الثالث من البرديات العربية، بردية 214 بالشكل التالى: (أبو الحسن النخال) و (الجمالين حساب عشر

قراريط) و(ميمون الجمال حمل حطب تلاته واربعين)، وفى " أخبار مصر" للمسبحى ص 216: (وفيه توفى ابن سعدان القماح.. وفيه توفى خلف الجمال بسويقة الوزير.. توفى ابن أخت أبو السيار قاضى الأسكندرية).

كذلك الوزن (فعلان) بدلا من (فاعل) كما فى (جوعان) بدلا من (جائع) لتجسيد حالة الجوع والشعور به... و (بردان) بدلا من (بارد) ثم (تعبان) عوضا عن (متعب) على وزن (مفعل).. ولعل إنهاء الكلمة بالمد مع إضافة النون يحمل معنى دوام الوضع وألم المعاناة بالشكوى. ومن تأثير ذلك القياس فى لغتنا المصرية (قديماً وحديثاً) خاصة فى حالة النسب قولهم "فوقانى" و"وحدانى" التى أتت منها "وحدانية"، وفى ذلك توسيع لهذا القياس.

ثم إن الظروف الاجتماعية والعادات الفكرية واللسانية وغيرها تؤثر فى تطور أصوات اللغات مما ينتج عنه كثير من الظواهر اللغوية التى منها ظاهرة *النقل المكانى* *Melathese* *وظاهرة التشاكل* *Assimilation* *وغيرهما.*

يظهر ذلك بوضوح فى لغتنا المصرية، ففى ظاهرة النقل المكانى نجد أن كلمتى *(أرانب) و (ببغاء)* مثلا قد تحولتا الى *(أنارب) و(بغبغان)* اذ يبدو أن المصريين لم يستسيغوا أن تكون بداية كلمة أرانب هى *(أرا)* وأحسوا أن *(أنا)* أقوى وأسهل نطقا فتبدلت

بعض الحروف على ألسنتهم وغيرت مواقعها لتصبح *(أنارب)* مكان *(أرانب)*.. وربما شعروا أن كلمة *(ببغاء)* ثقيلة فى النطق لتكرار حرف الباء فى مدخلها فباعدوا بين الحرفين وأضافوا *(غين)* جديدة لتكون بداية الكلمة *فعل (بغبغ)* الذى يحمل معنى محاولة الكلام تجسيدا لقدرة هذا الطائر على تقليد الأصوات البشرية.. وربما كان قصدهم من إلحاق نغمة صوتية جميلة هى *(آن)* يتفق مع منطوق الاسم مع تميز هذا الطائر وشكله الجميل، عوضا عن الألف والهمزة ونهايتها الصماء فتحولت *(ببغاء)* إلى *(بغبغان)*.

ظاهرة أخرى هى التناوب التى تتبدى فيما تتعرض له أصوات اللين (الضمة والفتحة والكسرة) إلى جانب ما سمى بألف المد، وياء المد، و واو المد. والصفة التى تجمع هذه الأصوات اللينة (Vowels) كما يقول د. إبراهيم أنيس فى كتابه "الأصوات اللغوية" ص 26،29: (هى أنه عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه فى الحلق والفم فى ممر ليس فيه حوائل تعترضه، فتضيق مجراه كما يحدث مع الأصوات الرخوة، أو تحبس النفس ولا تسمح له بالمرور، كما يحدث مع الأصوات الشديدة.

فالصفة التى تختص بها أصوات اللين هى كيفية مرور الهواء فى الحلق و فى الفم و خلو مجراه من حوائل و موانع... إن هذه الأصوات ذات أثر كبير فى اللغة فأى تغيير (إبدال) فى نوع الصوت اللين أو حتى

فى كميته يغير فى معنى الكلمة، ولهذا مردوده فى الغناء والإنشاد والترنيم، مما جعل اللغة المصرية سباقة فى هذا المجال على المسوى الأقليمى والعالمى. واللغة المصرية لأنها من اللغات الحية المتطورة ظلت أكثر تأثراً بهذه الظواهر، ولهذا لو تعرضنا لتلك الظواهر فى اللغة المصرية فى الفترة الفاطمية لأدركنا أثرها البالغ على تطور لغتنا حتى اليوم، وتلك النغمات الشجية التى تتمتع بها. ففى مجال إحلال (إبدال) صوت محل آخر مثل إحلال الكسرة للياء مثل "كتابى مفيد"، وقد ورد فى تاريخ أبو صلح، ص 140: (وسد ينابيع المياه وميازين السما) بدلاً من موازين السماء، فأبدل الياء مكان الواو.

وقد تبدل الفتحة الطويلة بالكسرة الطويلة فيما يعرف بالإمالة، التى تعنى كذلك الاتجاه بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء شرط ألا يبالغ فى ذلك حتى لا يصير كسراً محضاً. ففى القراءات القرآنية المتأخرة، كما يقول ابن الجوزى فى كتابه " تقريب النشر فى القراءات العشر" ص 55: (اعلم أن حمزة والكسائى وخلفاً أمالو اكل ألف منقلبة من ياء حيث وقعت فى القرآن، سواء كانت فى أسم أو فعل، فالأسماء نحو: الهدى ـ الهوى ـ العمى ـ مأوى ـ مثوى ـ أدنى ـ أذكى ـ موسى ـ عيسى ـ يحى. والأفعال نحو: أبى ـ أتى ـ سعى ـ يخشى ـ يرضى ـ فسوى ـ أجتبى ـ أستعلى ـ أشترى.

ومما ورد فيه إمالة فى هذا العصر قول أبو صلح فى تاريخه ص 17: (ويهنيه بالسلامة ومعه جمعية يزكوا مقالته)، فصارت "جمعية" بالإمالة للفتحة الطويلة نحو الكسرة فصارت "ياء" وذلك بدلاً من جماعة. ويحدث كذلك فى المصرية تقصير الحركة الطويلة أو تحويل الحركة الطويلة إلى حركة قصيرة، ويحدث هذا عندما تقع فى وسط الكلمة بين صامتين مثل: "دَعَتْ" بدلاً من "دَعَا"، وفى البرديات العربية "السفر الخامس" بردية 339: يرد مايلى: (وآخر ما كتبت اليك كتبين ولم أرا لواحد منهما جواب) فورد هنا "كتبين" بدلاً من "كتابين".

إلى جانب ذلك تميل اللغة المصرية إلى زيادة الحركة فى بعض الأصوات بطريقتين، إما بوضع حركة بدلاً من السكون، وإما زيادة فى الحركة القصيرة لتصبح حركة طويلة وهى نادرة فى الألسنة العربية، وترد فى المصرية بتحويل الأسماء التى على وزن فَعْل العربية إلى فَعَل، مثال " أُذْن" التى تحولت إلىُ ذُن" وقد ورد مثال ذلك فى تاريخ الشيخ أبو صلح: (رابعة كبيرة مستوظلة يحيط بها سور) فتحولت "مستظلة" إلى "مستوظلة" بزيادة الضمة الطويلة بعد التاء المفتوحة، ذلك أنه لم تكن هناك فى الكلمة العربية ضمة.

ومن هذه الزيادة فى الأصوات زيادة الحركة القصيرة على الضاد وهى الكسرة لتصبح ياء كما فى كلمة "راضى" عند ساويرس ابن المقفع فى كتابه

"تاريخ البطاركة ": (فأخذوه وهو غير راضى) بدلاً من "راض"، والعلة فى ذلك أن اللغة المصرية فى هذا الوقت، ومازالت، تكتب التنوين. وشبيه بهذا ما ذكره المسبحى فى كتابه "أخبار مصر" ص 60: (ثم نزل حول القصر بعقب ذلك متخفين إلى الجزيرة) بدلاً من "متخفياً"، وكذلك قوله فى ص 116 ، 192: (وكتب مصنفات فى معانى مختلفة... ويبيع اللحم أربع أواقى بدرهم) بدلاً من "معان" و"أواق" على الترتيب، ففى كل هذا كتب المصريين نطق التنوين.

فقد أحس المصريون أن أصوات تلك الحركات لا ترسم أو تجسد حركة الفعل، وأن معظم الأفعال العربية هانئة خالية البال قد وفدت من بيئة رعوية لا جهد يذكر للفعل فيها قياسا إلى البيئة المصرية.

فعدلوا فى أصوات بعض الأفعال واستعاضوا عن الفتحة الناعمة بصوت أقوى هو الضمة أو الكسرة وذلك من واقع خبرتهم وممارستهم لهذه الأفعال حتى تتوتر وتوحى وتؤثر كما *فى (يسمعُ، يسجدُ، سكت، خلص) التى أصبحت (يسمع، يًسجد، سُكت، أو سِكت، ُخلص أو خِلص)*، كذلك الحال مع الفعل (يلطم) الذى تحول الى *(ُيلطم)* للهلع والمفاجأة و (َيعوم) الذى أصبح *(يًعوم)* لتجسيد ما فى العوم من ثقل حركة وبذل جهد.

كما لم يطق المصريون نطق بعض الأفعال كما تلقوها من العرب بطيئة لا تجسد حيوية الفعل وحركته، فلم يستسيغوا *نطق. (يرتعش)* هانئة خالية البال فبدلوا فى مواقع حروفها لتسرع، وتوحى وتؤثر وتصبح *(يترعش)* كذلك الحال مع *(يهتز/ يتهز، يحترق/ يتحرق)* وغيرها.

كذلك عمد المصريون إلى تجسيد كثير من الأفعال بإضافة بعض الحروف اليها فالفعل *(يتعظم)* ينطق *(يتمعظم) و(يتبختر) (يتمختر)*، فاضافة (الميم) الى أفعال التعاظم أو التدلل أو غيرها يمنحها مزيدا من الدلالة والتأثير.

تأثير اللغة المصرية على الألسنة العربية فى مجال نطق الحروف

إلى جانب ذلك حدث تأثير كبير من اللغة المصرية على الألسنة العربية فى مجال نطق الحروف والكلمات، ويعد صوت "الجيم" مثالاً طيباً للتغيرات التاريخية فى الأصوات التى دخلت من المصرية على الألسنة العربية بدلاً من "الجيم" المعطشة أو المثلثة، التى مازال يتمسك بها بعض مدعى العروبة.

كذلك صوت "القاف" الذى يقول فيه د. أنيس فى كتابه "الأصوات اللغوية": (أتضح لنا أن القاف والطاء كما وصلت قد أصابها التطور حتى صارت إلى النطق الشائع بين قرائنا الآن فقد انتقل مخرج الضاد إلى الدال، كما أن كلاً من القاف و الطاء القديمتين قد أصبح مهموساً فى نطقنا الحديث بعد أن كانتا مجهورتين).

كما حدث نفس الأمر بالنسبة للأصوات الأسنانية: وهى الذال والثاء والظاء، فالذال صوت رخو مجهور مرقق و الثاء صوت رخو مهموس مرقق، ولا فرق بين الذال والثاء إلا فى أن الثاء صوت مهموس لا يتحرك معه الوتران الصوتيان، فالذال إذا صوت مجهور نظيره المهموس هو الثاء. أما الظاء فإنها نظير الذال المفخم أى أنه صوت رخو مجهور مفخم، ينطق بنفس الطريقة التى ينطق بها صوت الذال مع فارق واحد، وهو يأتى من مؤخرة اللسان حيث ترتفع نحو الطبق مع الظاء و لاترتفع مع الذال .

أما الأصوات الأسنانية اللثوية



فهى الصاد والدال والطاء والزاى والسين والضاد، فنلاحظأن السين نظير الزاى المهموس وهذا معناه أنه صوت رخو مهموس مرقق لا يفترق عن الزاى فى نطقه إلا فى أن الأوتار الصوتية تهتز مع الزاى و لا تهتز معه.

أما الصاد: فإنها نظير السين المفخم، وهذا معناه أنه صوت رخو مهموس ينطق كما ينطق السين مع فارق واحد هو أن مؤخرة اللسان ترتفع معه ناحية الطبق.

هذه هى الأصوات الأسنانية اللثوية التى يحدث بينها التبادل والتداخل كما ورد فى اللغة المصرية فى الفترة الفاطمية والتى استمرت فى تطورها حتى اليوم.

وحول نظام النحو و الصرف الموكول إليه إنتاج اللغة فإن هذا النظام فى أى لغة أنما يتكون عبر أجيال سحيقة نابعا من شروط المجتمع المادية و طبيعة

تكوين ونشاط افراده، ويظل يضرب بجذوره فى عقول الأجيال ويشكل وجدانهم ويحدد ملامحهم النفسية و يبرز مظهرهم الروحى.

كيف استوعبت اللغة المصرية بعض الألفاظ العربية والأجنبية

أما إذا أردنا أن نعرف بشىء من التفصيل الألفاظ العربية و الأجنبية التى استوعبتها اللغة المصرية، بعد تمصيرها ووضعها فى سياق تصاريفها اللغوية وكذلك التطورات التى لحقتها عبر العصور، فعلينا بالمستدرك الذى حرره العلامة الفرنسى دوزى والتذييل الذى وضعه المستشرق فانيان على هذا المستدرك، وكذلك كتاب: مد القاموس لإدوار وليم لين، منامات الوهرانى، والمجموع الصفوى لابن العسال، أخبار مصر لابن ميسر، أسفار البرديات العربية التى جمعها العالم الألمانى جروهمان و أصدرتها دار الكتب المصرية، وكتاب: تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل للدكتور أحمد السعيد سليمان، كذلك كتاب: فى علم اللغة التاريخى للدكتور البدراوى زهران، وكتب التاريخ التى وضعها ابن اياس وابن تغرى بردى والمقريزى والجبرتى، وإبداعات الأدب و الشعر المصرى التى كتبها العديد من الشعراء والأدباء من أمثال ابن سناء الملك وابن

سودون والوهرانى وابن دانيال وابن مماتى... الخ، وفوق كل ذلك كتاب ساويرس " تاريخ البطاركة ".

و انتهاء بعبد اللـه النديم و عبد الحميد الديب و بيرم التونسى و صلاح جاهين و فؤاد حداد. ففيها الكفاية منعا للإطالة.

وفى هذا السياق يمكننا أن نذكر بعض ملامح لغة ساويرس ابن المقفع من خلال كتاب "تاريخ البطاركة:

بعض ملامح اللغة المصرية عند ساويرس بن المقفع

ففى مجال تمصيره للكلمات العربية الدخيلة، يستعمل كلمة "البطّالة" بمعنى القبيحة، كما يستعمل كلمة "تخلينا" بدلاً من "تتركنا" وكلمة "ختل" بدلاً من "جن" و "بحرى" بدلاً من "الشمال" و"قبلى" بدلاً من "الجنوب" و"مداس" بدلاً من "حذاء".
أما فى مجال الظواهر اللسانية: فنلاحظ قلبه "الذال" إلى "دال" مثال: سادج، ارتدكس. وقلب "الظاء" ضادا مثل "ينضف" وقلب "الثاء" " تاء" مثال"الأرتدكس".

وفى مجال الظواهر النحوية: استخدام "أبهات" من المفرد "أب"، بدلاً من "آباء" وتأنيث صفة كلمة "مركب" لتصبح "مركب صغيره" وأحياناً تأنيث

الصفة والمصوف "مركبه صغيره". الحاق "ياء" المخاطبة بالماضى، مثل "جرحتى" و "تركتى" و "مضيتى". وغير ذلك من التعبيرات المصرية الأصيلة مثل:
عاد بقلة حيا الى اسكندريا، طول روحك عليا، كان كلامه كالعسل، و ضع مقالات تجديف وكفر بلسانه المستحق القطع، لتوحله فى الزيجه، سقط على الأرض وانقطع حسه، طيب قلبك.

الفارق الحضارى بين اللغة المصرية و الألسنة العربية على المستوى اللغوى

ولكى نكشف عن مدى الفارق الحضارى بين اللغة المصرية و الألسنة العربية فى مجال استخدام بعض المفردات ذات الأصول العربية نسوق المفردات التالية :

(يتكلم): قد يتوقف معناها عند التحدث، و لكنها فى اللغة المصرية تحمل عددا من الدلالات، فأن قلنا (متكلم عليها) فأن الميم المضافة تتخطى مفهوم التحدث إلى دلالة أوسع، فهى تعنى أنه قد اتصل بأهلها وتفاهم معهم فى أمر خطبتها لتصير زوجة له. وأن رفعنا الميم و صارت الجملة (يتكلم عليها) حمل التركيب دلالة مختلفة تماما إذ يكتسب صفة الذم و التشهير.

(دخل عليها): جملة تتوقف دلالتها فى العربية على فعل الدخول، بينما تنسحب فى المصرية على ليلة الزواج الفعلية وما يصاحبها من اجراءات وطقوس يثيرها هذا التركيب البسيط.
(يظرف): الظرف هو الغلاف الذى يختفى بداخله الخطاب، وقد اشتقت منه المصرية الفعل (يظرف) وهو فعل على بساطته يحمل دلالة اجتماعية مهمة إذ يطلق على المال الذى يوضع فى ظرف و يقدم كرشوة خفية عن العيون.

(امبارح): مشتقة من الكلمة العربية (البارحة) وهى أقرب ليلة مضت، لكن المصرية أصرت على أن تستخرج منها أسما مذكرا للنهار، إذ رأت أن النهار بالنسبة لها أكثر أهمية من الليل، فإذا ما أحتاجت إلى أن تشير إلى الليلة السابقة ألحقتها بالإضافة إلى اليوم السابق وقالت (ليلة أمبارح)، ليلة أمبارح مجليش نوم.
(بعض): لم تستسغ المصرية استعمال التركيب العربى (بعضه البعض) ولم تر داعياً لتكرار كلمة البعض نحو (يدخل فى بعضه البعض) ورأت أن فيه استطالة أو تكرار لا داعى له فاختصرته واكتفت ببعض واحدة لتصبح (يدخل فى بعضه).
(داس على طرف): الطرف من كل شئ هو منتهاه.. والمقصود من جملة (داس له على طرف) هو الاعتداء.. داس له على طرف يخصه. قد يكون طرف ثوب أو طرف أرض أو طرفاً معنوياً.. اغتابه أو نمه أو ما شاكل ذلك.

(شال) فى العربية يعنى رفع، والشائل تنطقها العامية شايل (وشايل منه) يعنى أنه غاضب يختزن له مضايقاته إلى حين فإذا ما استبدلنا بالميم فى (منه) للعين فى (عنه) كما نجد فى جملة (شايل عنه) لاختلف المعنى تماماً وأصبح يساعده بإخلاص أو يتكاتف معه فى المسئولية.

(طب): بمعنى سقط، وصوت الكلمة يرسم ويجسد صوت الفعل، وقد اعتدنا فى المصرية أن نقول (طب فى الامتحان) أى سقط و (طب ساكت) أى مات، لكن هناك استعمال متفرد إذ نقول (طبطب) بمعنى قام بمراضاته أو مصالحته بأن ضربه على ظهره عدة ضربات حانية متتابعة.. وقد انبثق الفعل من صوت هذه الضربات.

(الكوع) وهو جزء من الذراع ولكن المصرية تستخرج منه فعلاً هو (يكوع) بمعنى أن ينام بعض الوقت، فالفلاح الفقير الذى يفترش الأرض الجافة لا يجد غير كوعه ليتخذ منه وسادة يسند إليها رأسه عله يريح جسده المكدود.

(اليد) لها استعمالات كثيرة فى المصرية بخلاف استعمالاتها المتعددة فى العربية نقول (أيده فرطة) كناية على الكرم و(إيده ناشفة) للبخل (إيده والأرض) للفقر (إيده طارشة) أى مؤلمة (إيده طايلة) للنفوذ والسلطة (إيدى فى إيدك) للتعاون وغيرها.

(عينه فارغة) قد لا تفيد فى العربية أكثر مما تدل عليه الكلمتان: لكنهما فى المصرية تعنيان أن العين هى نفس الإنسان غير القنوع التى لا تمتلئ... والمعنى يكنى عن الطمع وعدم الاكتفاء.

(دماغه ناشفة) فى العربية نجد أن نشفت الأرض صارت نشفه على وزن (فعله) لكن المصرية تفضل الوزن (فاعل) فاشتقت لفظ ناشف بمعنى جاف أى أن دماغه جافة لا تتقبل المناقشة ولا جدوى من وراء إقناعها كالأرض الناشفة إذا زرعت لا تنبت.

(ياكلها والعه) الوالع هو الكاذب والوالعة مؤنث والع فى العربية. ولكنها فى المصرية تعنى المشتعل.. يولع بمعنى يشعل.. يولع النور.. يولع على الطبيخ.. والمقصود بهذا التركيب هو الإسراع فى الالتهام وعدم الانتظار بغض النظر عن حالة الشئ الملتهم كناية عن الاستهانة وخراب الذمة ونقص الأمانة.

(خلع) بمعنى نزع.. وخلع دابته فى العربية أى أطلقها من قيدها، وفى المصرية مدلول غريب عن العربية، فالخلع هنا يعنى الانصراف السريع المفاجئ من المكان بما يشبه الخلع السريع و المفاجئ للضرس.

(صرع) صرع فلان أصابه الصرع فهو مصروع والصرع عله فى الجهاز العصبى تسبب التشنج وتستعمل الأم المصرية الفعل (يتسرع) لخوفها على طفلها حين يلجأ أحد غريب إلى مداعبته.

(قرش ملحته).. القرش هو الكسب والجمع فى العربية لكن الفعل (قرش) هو فى العامية بمعنى طحن

بالأسنان وملحته من الملح.. أى أنه قد فهم غرضه وتحمل مذاق ملوحته بما لا يسمح بمزيد..

(محدوف) تقابل فى العربية كلمة مقذوف.. تقول المصرية (بيته محدوف) أى بعيد .. وكأن أحداً قد حمل البيت وقذف به كما يقذف الحجر فيستقر بعيداً فى الخلاء.

(شبك) الشئ تشبك أى تداخل فى بعضه.. لكن (شبكها) فى المصرية تحمل عرفاً شعبياً بمعنى أنه قدم إليها ما يؤكد رغبته فى الزواج منها.. (والشبكة) هدية من ذهب أو خلافه يشترط أن يقدمها الرجل إلى المرأة كتقليد اجتماعى مصرى تمهيداً لأن تكون زوجة له.

(ينطلى) الطلاء هو الدهان الذى يستر ما خلفه.. وتشتق منه المصرية هذا الفعل فتقول (ينطلى عليه) بمعنى أنه سوف يصدق الكلام أو يتقبل الفعل دون أن يدرك غرضه كما يخفى الطلاء ما تحته.

(رن) رنيناً.. أى صاح وصوت.. ولما كانت العملة المعدنية إذا سقطت تظل ترن على الأرض حتى تستقر ويتوقف الرنين.. فقد اشتقت المصرية من هذه الصورة الصوتية (سيبه يرن) أى دعه ولا تسأل فيه فإن مصيره كالعملة إلى التوقف والسكون.

(النور) له استعمالات عدة.. (نورك كفاية) للتكريم بمعنى أن وجودك قد أضاء المكان بما يكفى.. و (أنت منور الفعدة) بمعنى أنك ضياؤها وزينتها. أما ذلك التركيب الممعن فى الإيجاز (الشرط نور) فهو يحمل

نصيحة بالغة الحكمة ويسنن تشريعاً مهماً.. فالشرط جوهرى عند الاتفاق حتى يستضاء به عند الاختلاف.

(العسل) معروف بحلاوته وقد اشتقت منه المصرية كلمة (تعسيلة) لتصور الشخص المرهق المستعبد دائماً كالفلاح وهو يأخذ تعسيلة، أى يخطف إغفاءة قصيرة سريعة يشعر أنها لفرط تعبه وإجهاده حلوة لذيذة بطعم العسل.

(ابن) أضاف المصريون إليها شىء ليست العلاقة بينهما أبوة أو أمومة، فسمت اللص "ابن طريق"، وسمت الليل "ابن الكروان". و كذلك ينسبون الابن إلى شىء له به اتصال و إن لم يكن الثانى ابناً للأول ، و لهم فى هذا ألفاظ كثيرة متعددة مثل:

"ابن فن" و"ابن روحه" لمن كان عصامياً "ابن فتله" للمحتال النصاب "ابن سبعه" لمن يولد فى الشهر السابع من حمل أمه "ابن سوق" للبياع المتجول و"ابن غرام" لمن سار على هواه ودار على حل شعره، "ابن ساعته" لمن لا يستقر على حال فى رأى أو صداقته. "ابن بلد" و هى تعنى الشهم اللطيف المهذب، و غالباً ما يستخدم فى كلامه عبارات مثل: "بلا آفيه"، "عن إذنك "، "اسمحلى"، "لا موآخذه" و لأولاد البلد فن خاص يسمونه "التنكيت" يستخدمون فيه كلمة "أشمعنى" إلى جانب فنون الفكاهة الأخرى. ولهذه الفنون مساجلات كثيرة للغاية حتى أنها سجلت فى أوايل القرن العشرين على اسطوانات، كما كان لها أدبائها منذ أواخر القرن التاسع عشر مثل حسن الآلاتى الذى كان يجتمع مع أصدقائه بقهوة لطيفة فى

حى الخليفة سموها "المضحكخانه الكبرى" يتندرون فيها بالنكات والتنكيت والأزجال والقصص والأفشات الظريفة. و كان يعاصر حسن الآلاتى و يجرى معه فى هذا المضمار عبد اللـه النديم المتوفى عام 1896 م. الذى أصدر عدة جرايد و مجلات ترعى فنون الفكاهة مثل "التنكيت والتبكيت" و"الأستاذ" وتلى ذلك ظهور جريدة "حمارة منيتى" و غيرها كثير مما ساعد على تطور اللغة المصرية تطورا كبيراً. "ابن حظ" لصاحب المزاج الفرفشه وقريب منها " ابن كبايه" و" ابن كيف"، "ابن نكته" و فى مجال الشتايم كان حظ كلمة "الابن" أكثر من غيرها. كما استعملت فى الأمثال، فقالوا "ابن الوز عوام"، ومن الأمثال القديمة "ابن الحرام يطلع يا قواس يا مكاس" . مع ملاحظة أن كلمة "ابن" يمكن تحويلها فى بعض هذه العبارات إلى "بنت".

(أبو) فى اللغة المصرية تستعمل استعمالات مختلفة، فأحياناً يستعملونها بمعنى "ابن" فيقولون "أبو يوسف" لمن كان اسم أبيه يوسف، و "أبو سعيد" لمن كان اسم أبيه سعيد، وهكذا. و أحياناً يستعملونها بمعنى الكنية عندما يضاف إليها اسم الابن الأكبر فيقال "أبو مجدى". وللمصريين اصطلاحات خاصة فى هذه الكلمة فيقولون: "أبو على" للرجل اللطيف الكريم، و"أبو جبين" للدلالة على كرم الشخص، وقريب منها "أبو جيب مخروم" وإن كانت الأخيرة تطلق كذلك على الشخص المبذر المتلاف. "أبو طويله" للمفرط

فى الطول مع بلاهة وغفلة. و"أبو الروس" الكبير الرأس. "أبو عين نايمه" للصامت الماكر، تطلق أحياناً على الشخص الخجول، وعكسه "أبو عين آرحه أو فاجره أو زايغه". "أبو رجل مسلوخه" و هو اسم للعفريت يخوف به الأطفال.

(أم) يستعملها المصريون كذلك بمعنى أب، بمعنى صاحبة مثل "أم الخلخال" و" أم العبايه" و"أم الشال" و"أم الشعور" و"أم على" وهو طعام يصنع فى الأساس من الرقاق و اللبن و السمن ثم يوضع فى الفرن، و يضاف إلىه أحياناً المكسرات. و"أم أويأ" و يقصد بها البومة.

(أزرق) كثيراً مايستخدم المصريون كلمة الأخضر محل كلمة الأزرق، وذلك تفاؤلاً بالخضرة و كراهية للزرقة. و لذلك سموا العتبة الزرقاء بالعتبة الخضراء. و يقولون "زرق المسمار فى الخشب". أى أدخله بسهولة، ويقولون، "زرق من وراهم" أى مرّ دون أن يشاهدوه، أو "زرق منهم" أى هرب منهم. كما يقولون "نابه أزرق" لمن كان خبيثاً ماكراً.

(جاء) لاتنطق فى اللغة المصرية همزة جاء، بل تنطق مع الضمير المذكر و المؤنث، المفرد والجمع مثل: (جه) و (جت) و (جم). وفى الأمثال المصرية: (جت ع البهلى) و (جت ع الطبطاب) و (جه على ملا وشه) و (جه يكحلها عماها)، (جت الحزينه تفرح ملأتلهاش مطرح).

(ضرب) تستعمل كذلك فى اللغة المصرية بعدة معانى مثل: "ضرب الطوب" أى صناعته و"ضرب

ع العود" و"ضرب الدنيا طبنجه" و"ضرب ف المليان" و"ضرب كف على كف".

(طلع) مثال استخداماتها فى المصرية: "طالع نازل" للدلالة على الحركة المستمرة. و "طلع من هدومه" و"طلع فيها" و"طلعت عليه الغزالة" و"طلع يجرى" و"طلع راجل" و"طلع م المولد بلا حمص" و"طلع بوش" الخ...

(عين) فى المصرية يقال: "عينك ماتشوف إلا النور" و"العينه بينه" و"العين عليها حارس" و"عنيه مبظظه".

(لعب) يقال فى المصرية كذلك "لعبت نفسه"، "لعب دور" و"يلعب موسيقا" و"لعب عليه أو عليها" ، وقريب من ذلك "ملاعيب شيحه".

(صاد) تستخدم فى المصرية كذلك "يصطاد ف الميه العكره" و" صياد فرص".



النصوص التراثية المصرية كدليل على استمرار تطور اللغة المصرية خاصة فى مجال النحو

ومما يجدر به التنويه هنا أن المادة التاريخية التراثية التى بين أيدينا بالرغم من قدمها، الا أننا نحس منها بوقع حياة التاريخ وقوة تفاعله، وأكثر من ذلك أننا نلمس فيها مدى تأثير اللغة المصرية حينذاك فى كل المنطقة المحيطة بها، وذلك لعدة عوامل منها :

- أن الصلة وثيقة بين لغة هؤلاء المؤرخين وبين لغة الجماعة المصرية.

- التأثير والتأثر المتبادل بين مصر والبلدان المحيطة بها سواء فى مجال الثقافة أو اللغة.

- الدور السياسى البارز الذى لعبته مصر فى المنطقة، ويكفى أنها صاحبة أكبر انتصارين على المغول والصليبيين.. هذا الدور الذى ساعد على جعل اللغة المصرية، بل وحتى اللهجة القاهرية، على حد قول "يوهان فيك" هى لغة العصور الوسطى فى كل المنطقة المحيطة بمصر.

وإليك بعض هذه النصوص التاريخية الدالة على حال وتطورات اللغة المصرية :
"وفيها كثر فساد العربان بالوجه القبلى وعدى شرهم فى قطع الطريق الى أن فرضوا على التجار وأرباب المعايش بسيوط ومنفلوط فرايض جبوها شبه الجالية (الجزية)، واستخفوا بالولاة ومنعوا الخراج.... وضرب الأمراء على الوجه القبلى حلقة كحلقة الصيد وقد عميت أخبارهم على أهل الصعيد فطرقوا البلاد على حين غفلة من أهلها، ووضعوا السيف من الجيزية بالبر الغربى، والأطفيحية من الشرق فلم يتركوا أحدا حتى قتلوه ووسطوا نحو عشرة آلاف رجل ما فيهم الا من أخذوا ماله وسبوا حريمه، فاذا ادعى أحد أنه حضرى قيل له: قل دقيق.. فان قال بقاف العرب قتل...ووقع الرعب فى قلوب العربان

حتى طبق عليهم الأمراء وأخذوهم من كل جهة فروا إليها وأخرجوهم من مخابئهم حتى قتلوا من بجانبى النيل إلى قوص، وجافت الأرض بالقتلى واختفى كثير منهم بمغاير الجبال فأوقدت عليهم النيران حتى هلكوا عن آخرهم، وأسر منهم نحو ألف وستماية لهم فلاحات وزروع وحصل من أموالهم شىء عظيم جدا... وصار لكثرة ما حصل للأجناد والغلمان والفقراء الذين اتبعوا العسكر يباع الكبش السمين من ثلاثة دراهم الى درهمين والمعز بدرهم الرأس والجزة الصوف بنصف درهم والكسا بخمسة دراهم والرطل السمن بربع درهم، ولم يوجد من يشترى الغلال من كثرتها فان البلاد طرقت وأهلها آمنون وقد كسروا الخراج ". (11)

هكذا أعطى لنا عمدتنا المقريزى فى لغته المصرية السهلة المعبرة وصفا تصويريا تحليليا لمسرح دارت عليه أحداث امتدت من الشمال الى الجنوب ألقى الضوء فيه على الأمن الذى عاشت فيه البلاد بعد ما أصابها من فساد واضطراب اختل معه الأمان، فقطع العربان الطريق وتعدى شرهم كل حد، وفى ذلك تعليل لما كان من الأمراء من وقفة متشددة ضدهم برر فيها توسيطهم وإيقاد النيران بمغاير الجبال عليهم وامتلاء الأرض بجيفهم... وهذا كله من وجهة نظر تحليلية تعطينا الضوء الكافى على حالة المستجوب عند نطقه بكلمة "دقيق". ولا شك أن كثيرين منهم حاولوا أن ينطقوها بالقاف المصرية فكشف أمرهم

فالعادات النطقية أقوى من أن يبدلها محاولة الخروج من موقف ذعر.

وهذا من ناحية ثانية يجعلنا نعطى تعليقا متصلا بما نحن بصدده وهو أمر "القاف" وكيف تنبه لها الأمراء الحاكمون للتفرقة بين صوتيات الألسنة العربية وصوتيات اللغة المصرية، فالقاف البدوية الوافدة من الأصوات التى تستلزم مجهودا ضخما فى نطقها فهى تأتى من حبس الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما ورفع أقصى اللسان حتى يلتقى بأقصى الحنك وأدنى الحلق بما فى ذلك اللهاة، ولا يسمح للهواء بالمرور خلال الأنف وذلك بأن يرفع الحنك اللين ويضغط الهواء مدة من الزمن ثم يطلق مجرى الهواء بأن يخفض أقصى اللسان فجأة فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا مع تذبذب الوترين الصوتيين أثناء النطق. (عملية عضوية شاقة تدخل فيها أكثر من عضو ليؤدى كل دوره) فالقاف البدوية العربية كما وصفها القدماء: صامت - مجهور - لهوى – انفجارى.
أنظر الى صوت القاف فى لغتنا المصرية تجده مهموسا: صامت - مهموس - لهوى - انفجارى، هذا لمن أراد التحذلق، وتجده "آفا" للقفا و" ألم "للقلم كما تجده "جافا" و"كافأ"، جلم "قلم"، "برتكان "برتقان".
وهكذا نرى مدى قدرة اللغة المصرية فى التعبير بعيدا عن جفاف الألسنة الوافدة بحيوية صوتية دافقة وإبانة مسرحية تركيبية ما كانت لتتوفر لغيرها من اللغات فى حينه، وذلك فقط من خلال اعتمادها على التنغيم

العالى العام، سواء فى موقف السرد أو فى مواقف الحوار أو فى الوصف والتحليل. وهذا فى حد ذاته فيه إشارة إلى سابقة هامة وخطيرة للغتنا المصرية ألا وهى: قدرتها على أن تكون وعاء للدراما الفنية ولمسرح لغوى بمفهومه الحديث، خاصة اذا كانت على صلة بلغة منطوقة مكتوبة سابقة - المصرية القديمة - ذات تراث ثقافى قوى الجذور.
ودون أن نمهد أو نعلق نأتى بنص لعمدتنا المقريزى من كتابه السلوك وندع قدرات اللغة المصرية تكشف عن هدف كاتبها مع اطلاق العنان لخيال الدارس المتأمل حيث تحلق شخصياتها فى عالم وزمان مسرحها اللغوى.

ظاهرة التراص والتوازى فى الجمل (النظم و السرد فى الجملة)

وخير ما يوضح هذه الظاهرة أمثلتها :
وغضب السلطان عليه واعتقله وأوقع الحوطة على داره فى يوم الجمعة ثانى شعبان وسار السلطان الى الشام وقاضى القضاة شمس الدين الحنبلى فى الاعتقال بمصر فتسلط شبيب عليه وأدعى أنه حشوى وأنه يقدح فى السلطان، وكتب بذلك محضرا فأمر بدر الدين بيلك نائب السلطنة بعقد مجلس، فعقد فى يوم الاثنين حادى عشرة وحضر الشهود، فنكث بعضهم وأقام بعضهم على شهادته فأخرق النائب بمن شهد وجرسهم، وذلك أنه تبين له تحامل تقى الدين شبيب

على القاضى، واعتقل شبيب ووقعت الحوطة على موجوده وأعيد القاضى الى اعتقاله بقلعة الجبل، فأقام معتقلا سنين ولم يول السلطان بعده قضاء الحنابلة أحدا (12)".

وهكذا نرى الجمل تتراص ممتدة ترتبط كل واحدة منها بالأخرى بالواو أو بالفاء ، ونرى الواو تؤدى معانى متعددة وتقوم بوظائف متغايرة وهذا ما يعرف فى بناء الجمل بالتراص والامتداد يقابله نوع آخر من بناء الجمل يعرف بالتركيب، جمل بسيطة متراصة، وجمل مركبة معقدة.

والشىء الذى نلاحظه أن بناء الجمل على هذه الشاكلة يعطى مجالا للسرد وتعانق الأفكار والمعانى فى يسر، فهو أسلوب ميسر بعيد عن التعقيد والتكلف. كما يرون أن بناء الجمل المتوازنة يمثل لغة الحياة العامة.

وعلى العموم فالعبرة بالابانة عما فى النفس ووضوح الدلالة مع البعد عن الخلل والفساد، وذلك بأن تنظر فى الجمل التى تسرد فتعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، وتعرف فيما حقه الوصل موضع (الواو) من موضع (الفاء) ، وموضع (الفاء) من موضع (ثم) وموضع (أو) من موضع (أم) وموضع (لكن) من موضع (بل) وهكذا الشأن فى التصرف فى التعريف والتنكير والتقديم والتأخير فى الكلام كله، وفى الحذف والتكرار والاظهار والاضمار فتضع كلا من ذلك فى مكانه وتستعمله على الصحة وعلى ما ينبغى له. نظم لم تتبعه الألسنة الوافدة، وهو لذلك نظم

مبين عما فى النفس مطرد على الصحة بعيدا عن الخلل.

ومعناه أن اللغة المصرية انتهجت نهجا من النظم خاصا بها سواء فى الجمل المتوازنة أو المركبة وسيتضح ذلك فى النوعين المتوازى والمركب، وان كانت النظرة السريعة فى النوع الأول تظهره فان التحليل هو الذى يكشف عنه فى التراكيب... أى فى الجمل المركبة التى ترمز الى قضايا متعددة حيث تدخل فى هذه التراكيب ارتباط بعض ببعض ويبنى التالى منها على الأول، وذلك مثل القسم والشرط والجزاء والنداء.

وليس لما شأنه أن يجىء على هذا الوصف حد يحصره أو قانون يحيط به، فانه يجىء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة.

ولنقرأ القسم الآتى :

" وحق نعمة مولانا السلطان هولا الأقباط أكلوا الأموال " (13)

" والله ما ياكل السلطان غيركم " (14)

نوع من البناء فيه جملة قسم وجملة جواب وبينهما ارتباط وهو ارتباط تركيب ولكن يعد من أولى مراحله قريب من ارتباط التراص أو التوازى أو السرد، فلا نجد اتحاد أجزاء جمل ودخول بعض فى بعض باشتداد ارتباط ثان بأول - وهكذا ..نوع من النظم اختطته لنفسها اللغة المصرية منذ العصور الوسطى.

الشرط والجزاء

ان الشرطية:
"ان تسلمتهم لآخذن منهم للسلطان ثلاثمايه ألف دينار وأكتب بها خطى"
ومثل أخر فى نصوص الهدنة:
"أنهم لا يمكنون حرامية البحر من الزواده من عندهم ولا من حمل ماء، وان ظفروا بأحد منهم يمسكوه، وان كانوا يبيعون عندهم بضايع فيمسكهم كفيل المملكة " (15)
هذا التركيب فيه "أن" وحدة صرفية علقت بين أجزاء الجملة وترتب عليها وجود وحدتى شرط (إن... أن)
"وعلى أن شوانى السلطان وولده إذا عمرت وخرجت لا تتعرض لأذية (16)".

وهكذا نجد (أن) تقوم بدور الوحدة الصرفية الممهدة لجملة الشرط سواء كانت أداة الشرط (إن) أو (إذا):

"وعلى أنه متى تحرك أحد من ملوك الفرنجه، وغيرهم من جوا البحر بقصد الحضور لمضرة السلطان وولده فى بلادهما المنعقد عليها هذه الهدنه فيلزم نايب المملكة والمتقدمين بعكا أن يعرفوا السلطان وولده بحركتهم قبل وصولهم الى البلاد الاسلامية الداخلة فى الهدنه بمدة شهرين وان وصلوا بعد انقضا مدة شهرين فيكون كفيل المملكة بعكا والمتقدمين بريين من عهدة اليمين " (17)

فوحدة (أن) فى هذا التركيب مهدت لوحدة الشرط وجاءت (متى) بعدها فى التركيب فى صدر الشرط.
وننتقل الى نوع آخر من أدوات الربط فى الجمل التركيبية استخدمته اللغه المصرية وهو (لما).

"فلما دخلوا على المملوك مالوا عليه بالسكاكين فقتلوه فخرج عليهم الأنبرور فذبحهم فى يده وسلخهم وحشا جلودهم تبنا وعلقهم على باب القصر فبينما هو عازم على ذلك إذا ورد الخبر بأن ملك الأنكتار وصل الى عكا" (18)
"ولما أسر الفرنج الأمير شجاع الدين والى سرميين أبقى السلطان إقطاعه بيد اخوته وغلمانه كل ذلك استجلابا للقلوب" (19)
فنجد الواوهنا مهدت لأداة الشرط "لما" ونجد أن الفعل الذى تبعها جاء ماضيا. بينما نجدها فى المثال الآتى ذات طبيعة مخالفة:
"فلما كان ذات يوم حضر إليه رجل من أجناد الأمير الصيقلى وأخبره أن أستاذه فرق مالا على جماعة من المعزية، وقررمعهم قتل السلطان، ومنهم الأمير علم الدين الغنمى، والأمير بهادر المعزى، والأمير شجاع الدين بكتوت فقبض على الجميع فى ثامن ربيع الأول" (20)

تصرفت اللغة المصرية هنا تصرفا استفادت به من (لما) فقد جعلتها وحدة صرفية تقوم بوظائف متعددة

التراكيب الممتدة على مستوى الجمل المتوازنة والجملة المركبة.

وعلى نحو ما استفادت اللغة المصرية من (لما) كوحدة صرفية ذات دور فعال فى بناء الجمل المركبة بكل طرق التعليق الممكنة، نجدها أيضا أحسنت استخدام الوحدة الصرفية (عندما) ببراعة مميزة على نحو ما يتضح من هذا المثل ومن غيره من الأمثلة رأيناها هنا مهدت لاستخدام وحدات صرفية أخرى مثل (الواو) و (الفاء) الى جانب أنها ربطت بين طرفى جملة أدت فيها وظيفة الظرف وأداة الشرط معا. واقتضى هذا أن تتبعها جمل أفعالها ماضية لفظا ومعنى.

وهكذا وجدنا (لما) و (عندما) تستخدمان استخدام الأدوات الشرطية الظرفية.
فالجمل التركيبية فى اللغة المصرية ذات أنماط متعددة بتعدد أدوات الربط التركيبية، ومنه أدوات شرط تتعدد الجمل بتعددها، وأدوات تعليل تتعدد الجمل بتعدد أنواعها، وأدوات مصدرية...الخ، وغير هذه وتلك من الأدوات التى يتحدد دورها الصرفى بوظيفتها فى الربطين بين وحدات الجمل التركيبية.
فمن الاستقراء يتبين أن أساليب الشرط فى مصرية العصور الوسطى كان يمهد لها فى كثير من حالاتها بهاتين الوحدتين المتلازمتين (على أنه) أو (على أن) سواء كانت الأداة (إذا) أو (متى) أو (إن) ... سواء فى

ذلك تصدرت أداة الشرط أسلوب الشرط، أو تقدمتها بعض أجزاء أسلوب الشرط:

على أن شوانى السلطان وولده إذا عمرت
على أنه متى تحرك
على أنه إن قصد البلاد

والجمل المركبة ذات طبيعة مخالفة فى بنائها. فالجملة المركبةجملة متداخلة الأطراف يطول بناؤها وتتكامل عناصرها اللغوية لتعبر عن فكرة واحدة.

وهذا البناء اللغوى وما هو على شاكلته نوع قائم بذاته حيث يدخل فيه ارتباط بعضه ببعض، ويوضع فى نفس الوقت وضعا واحدا، وصورته لا تبين إلا بالبناء مكتملا، فوجب أن ينظر الى الصورة اللغوية نظرة كلية واحدة فكل ما بنى على طرفى الجملة الأساسين له قيمته ويعطى جديدا ويلتحم بغيره فيتغير ويغيره. (21)

وهذا النوع من الجمل يختلف عن نوع آخر لا يتأثر بالبناء عليه ولا يصير بانضمام شىء إليه شيئا آخر.

ومما هو قريب من التراكيب المتراصة التى تؤدى فيها (الواو) وظائف صرفية مختلفة النماذج الأتية:

"أمر السلطان ألا ينزل أحد فى زرع الفرنج، ولا يسبب فرسا، ولا يوذى لهم ورقة خضرا، ولا يتعرض الى شى من مواشيهم ولا إلى أحد من فلاحيهم. ولم يترك أحدا من أمير ولا وزير ولا مقدم ولا مفردى ولا أحدا من خواصه ولا بزداريته ولا برداريته وساير حواشيه حتى عم الجميع بالخلع، وأحسن الى

رسل الملك بركه، وكتب الى اليمن والى الأنبرور بالبشاره وأخرج جمله من الدراهم والغله والكساوى تصدق بها على الفقرا. (22)

فى النموذج الأول استخدمت "لا، ولا" فى جملة مسبوقة بنفى وجاءت بهدف الربط بين الجمل."ولا" هنا تعد حرف معنى للنفى. وكل الأدوات التى تقوم بوظيفة بين الجمل يعدها علماء اللغة حروف معان.

ومن الواضح فى النموذجين اللذين سقناهما من اللغة المصرية إن الاستعمال فيهما متطور وأنه مخالف لما عليه الألسنة العربية الوافدة، فقد ذكر ابن هشام: أن "لا" يجب تكرارها إذ دخلت على مفرد خبر أو صفة أو حال (23)، ولم يذكر ابن هشام غير هذه المواقع بينما الموجود فى النموذج الأول والثانى مخالف لذلك.

ففى النموذج الأول نجد " لا " دخلت على فعل مضارع، وقد جاء فى نحو العربية أنها إن دخلت على مضارع لا يجب تكرارها، وفى ذلك يقول ابن هشام "وإن كان ما دخلت عليه فعلا مضارعا لم يجب تكرارها نحو: *لا يحب الله الجهر بالسوء من القول، (24) وقل لا أسألكم عليه أجرا. (25)*

ولكنها هنا دخلت على مضارع وكررت، ومعنى ذلك مناقضة الاستعمال لقواعد العربية الوافدة -فهذا متطور عن الاستعمال العربى- مناقض لما يجب أن يكون عليه، وكذلك ما جاء فى النموذج الثانى مخالف لما عليه الاستعمال ومتطور عنه.

ومن الأمثلة التى توضح تطورا فى استعمال بعض الأدوات فى اللغة المصرية استعمالهم (لا، ولا) بطريقة مخالفة للاستعمال العربى على نحو ما مر واستعمالهم أدوات الربط فى جواب الشرط بأن تقترن الفاء بجواب شرط (لما) و (لو) وتقترن اللام بجواب شرط (أن).

ونعطى أمثلة لنماذج مختلفة طورتها اللغة المصرية فى العصور الوسطى لاتعرفها ألسنة العرب.

أمثلة لاستعمالات بعض الأحرف فى اللغة المصرية تغاير ما فى ألسنة العرب

الحرف عند العرب وبالأخص سيبويه ومن حذا حذوه هو ما ليس باسم ولا بفعل، والحروف من حيث التوزيع الموقعى لا تشغل مواقع الأسماء ولا الأفعال وإنما تؤدى وظيفة الربط بين وحدات الجمل.

وعلى الرغم من أن حروف الجر ينوب بعضها مناب بعض إلا أن هناك بعض الاستعمالات التى تشعرك فور سماعها بأن بها نوعا من التطور فى لغتنا المصرية ومن أمثلة ذلك :

" وأهانوا من امتنع من القيام للصليب " (26)

ففور السماع تقول: لم لم يقل " امتنع عن"

ومثله: "وسامح ما تأخر من البواقى بأرض مصر والشام" (27)

فاذا كنت من العرب فانك فور السماع تقول: كيف عدت سامح بنفسها؟ لإنك تنطقها (سامح فيما تأخر..) وهذا مخالف للغة المصرية.

وأما نص "وفى ثالث عشرية رسم بمسامحة بنات الأمير حسام الدين لاجين الجوكندار العزيزى بما وجب للديوان فى تركة أبيهم" (28)
فاستعمل الباء محل (فى): فيما وجب للديوان فى تركة أبيهم، وقال أبيهم، دون أى التفات للعربية التى تصر على أن أبيهم هو "أبيهن".
ومثله فى استعمال حرف جر مكان آخر. مثال ذلك قول الوهرانى فى المنامات ص 39: (ما أنت غريب من هذا الرجل، و لا أنت جاهل به) فأحلّ "من" محلّ "عن" مخالفاً فى ذلك العربية. و مثال ذلك قول أبو صلح فى تاريخه ص 4: (بناها عوضا من الكنيسة التى كانت). فاستعمل "من الكنيسة" محل "عن الكنيسة" ومثله قول المسبحى فى كتابه "أخبار مصر" ص 56: (عوضا من أبى طالب).
كما تبدل "عن" مكان "بعد" كما فى قول أبن ظافر فى كتابه "أخبار الدول المنقطعة" ص 96: (فقالوا نحن نقتله عن أذنك)، فأستخدم "عن" بدلاً من "بعد". و فى السياق أستخدمت "على" بدلاً من "عن" كما فى قول المسبحى كتابه السابق ص 41: (وأعرض على الذين يتوصلون إلى الخدم بالتسويق والسعاية) فاستعمل "على" بدلاً من "عن". و قد تبدل "على" مكان "فى"، فيقول أبن ظافر فى كتابه السابق ص 56: (وصار الناس على غاية الاضطراب).

"وكان الأمير جمال الدين... يكره قاضى القضاة.. ويضع من قدره ويحط عليه عند السلطان" (29)،

فالاستعمال العربى "يحط من قدره" أما قوله "يحط عليه" فهو مصرى بحت. ومثله "وكان التكفور هيتوم ملك سيس لم يزل يسأل فى إطلاق ولده ليفون ويعرض فى فداه الأموال والقلاع "، العربية تقول "يسأل عن".

وقد يقال فى العربية "سأله العطاء" أما "يسأل من أو فى" فذلك من اللغة المصرية.
ومثله: "وسأل السلطان أن يحضر فامتنع من الحضور مالم يحضر قاضى القضاة".
العربية تقول: "امتنع عن" ويأتى التركيب هكذا... وامتنع عن الحضور إن لم يحضر.
كما تستعمل اللغة المصرية عدد من الوحدات اللغوية بطريقة غير متوفرة فى الألسنة العربية :

كما جاء فى الاستعمال الآتى:
"فمن حين بلغنا تقدمه بمثل ذلك تقدمنا أيضا بمثله إلى ساير نوابنا"
لم ترد حين فى الاستعمال العربى مسبوقة "بمن".
ونجد أن "حين" التى وردت فى نص اللغة المصرية تصلح أن تكون شرطية: (حين بلغنا.. تقدمه) وهى مسبوقة "بمن" وكل هذا تطور فى استعمالها مخالف ما عليه فى اللغة العربية.

بالإضافة الى هذه توجد فى مصرية العصور الوسطى ظواهر لغوية لم تعرفها ألسنة العرب ومنها: ظاهرة حذف نون الأفعال الخمسة، هذه الظاهرة

نجدها فى معظم مصنفات ذلك العصر، ومن الأمثلة عليها:

"يا أمراء المسلمين.. لكم زمان تأكلوا أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون". (30) فقد حذف نون تأكلون فى حالة الرفع. ومثلها قوله:
"فصار إليهم السلطان وأختلط بهم فى السوق وهم لا يعرفوه (31)، و العربية تقول " لايعرفونه " فلم يتقدمها ناصب ولا جازم. كما جاء:
" وصار يكتبان للأعيان بطلب شى من إحسانهم ويوصلوها إليهم".
وقواعد اللسان العربى تقول "يوصلونها إليهم"

ومثلها:

"كيف مسككما هذه بمفرده، وأنتم لا تهابا رجالا

كثيرة؟. (32) وفى العربية "لاتهابان"، وجاء أيضا:

"وكتبوا الى الملك الصالح نجم الدين يستدعوه" والعربية تكتبها "يستدعونه". ومثلها:
"وبعث يطلب تنقيص القطيعة التى حملوها لبيت المال بدلا مما كانوا يحملوه الى الفرنج. (33) وفى العربية "يحملونه" وجاء: "وجلس شيخ الشيوخ نظام الدين بالمدرسة العادلية وعتب الناس لعدم ترددهم إليه، ووعد بالدخول فى صلح أمورهم مع غازان، وطلب

الأموال وتعاظم الى الغاية واستخف بقبق وقال: خمسماية من قبق ما يكونوا فى خاتمى. (34) وفى العربية "ما يكونون".

أنظر كذلك إلى هذه القصيدة التى كتبت فى عهد الملك الأشرف الأيوبى و نسبت إليه هاجياً فيها وزيره "فلك الدين المسيرى (نسبة إلى "المسير" و هى بلدة من بلاد محافظة الغربية، توفى عام 1245 م.)، و قد ذكرها ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى:

ايش هو فلك و ايش هى مسير
حتى يجى منها وزير
و الله و لا راعى حمير

كنت أجعلك
اسمك معار ما تعرفه
و المال بالفول تحسبه
و السرج بالصاد تكتبه
ما أجهلك

لـو كــان ف الـ دنيــا خـبيـــر
كـان يركـبـك فـوق الحـمير
و الـبــوق خلـ فـك و الـنـفـير
و أنــا أركلك
خـلى القــيا دة و الفضــول
كـم ذا تخــا صـم كم تصـول
و تـدعــى أنـــك رسـول
مـن أرسلك
لو كـنت أمـ لــك يــا قـبـق
أمــرك جعـ لـتك فى الحلــق
عـريان و فى عــنقك شـلـق

ظواهر لغوية تتصل بالمثنى وبجمع المذكر السالم

تعميم حالات المثنى وجمع المذكر السالم وجعله بالياء فى كل حالاته:

من الأمثلة على ذلك النص الآتى. جاء فى كتاب الاعتبار: "قالوا نريد ستماية دينار فضرط لهم وقال: أنا سرجندى، ديوانى كل شهر دينارين، من أين لى ستماية دينار. وفى العربية "ديناران" ومثلها: "وفيه خرنقين" وفى العربية "خرنقان".

وظاهرة تعميم حالات المثنى هكذا ومثلها جمع المذكر السالم وجعله بالياء هو ما عليه الحال فى اللغة المصرية، كما أن المؤرخون والكتاب فى الاستعمالات اللغوية لمصرية العصور الوسطى يجعلون جمع المذكر السالم بالواو فى كل الحالات، ومن الأمثلة على ذلك النص الآتى: "المظفر صاحب حماة كان منتميا الى الصالح نجم الدين ومهتما بنصرته ويخطب له فى بلاده وكان الحلبيون والمجاهد صاحب حمص معاندون له ومساعدون عليه، وفى العربية "كانوا... معاندين له ومساعدين عليه" ويعد هذا وما هو على شاكلته أيضا مناقضا للعربية الوافدة.

واتصالا بما نحن بصدد الحديث عنه وجدناهم يثبتون نون المثنى وجمع المذكر السالم فى حالات الإضافة ومن الأمثلة على ذلك:

"ثم استقر ابن صصرى ناظر الدواوين بدمشق فانتدب النجيب أحد مستوفين الدولة" فى العربية "أحد مستوفى الدولة".

ومن أمثلتها "ستة طيور يضربون الصقور بأجنحتها، فلولا نبادرهم كانوا خلصوا الوزة وقصوا أجنحة الصقور بمناقيرهم" والعربية تقول: "ستة طيور يضربن الصقور بأجنحتهن، فلولا نبادرهن كن خلصن الوزة وقصصن أجنحة الصقور بمناقيرهن".

استعمال فعل الجمع بدلا من الفعل المثنى مع وجود الفاعل

ومن أمثلة ذلك ما جاء فى كتاب السلوك:"وخربوا التتر الجوامع والمساجد والمشاهد". (35) وفى العربية "وخرب التتر". كما جاء فى الاعتبار أيضا: "فلما زاد رأونا الحرامية" وفى العربية "رآنا الحرامية" وهذه الظاهرة موجودة بوفرة فى كتب التراث ومطردة حاليا، لأن فى هذه الظاهرة مرضاة للعقل حيث أنها تتفق مع المنطق العقلى ومخالفة لألسنة العرب.

وفى هذا المجال يطالع الدارس مناقضات لألسنة العرب فيما ينبغى أن يكون عليه تمييز العدد حيث نجد تميز أعداد الألف بالمفرد نحو عبارة: "أربعة ألف دينار" وعبارة "ستة ألف دينار مصرية" وعبارة: "أربعة ألف مجلد من الكتب الفاخرة".

دلالة العبارة و الجملة فى اللغة المصرية

أن النشاط الكلامى ذا الدلالة الكاملة لا يتكون من مفرداتها فحسب، و إنما من أحداث كلامية أو امتدادات نطقية تشكل جملاً تتحد معالمها بسكتات أو وقفات أو نحو ذلك. من هنا فإن علم المعنى لا يقف فقط عند معانى الكلمات المفردة القاموسية لأن

الكلمات ما هى إلا وحدات يبنى منها المتكلمون كلامهم، ولا يمكن اعتبار كل منها حدثاً كلامياً مستقلاً بذاته بل العبرة بالعبارة الكاملة المشكلة من المفردات.

لهذا يرى الكثير من علماء اللغة أن العبارة هى أصغر وحدة لغوية ذات معنى، لأن معانى العبارات هى التى تحقق الوظيفة الأساسية الثانية للغة، وهى الاتصال بالآخرين (فضلاً عن وظيفة التعبير). فمعنى اللفظ لا يحقق اتصالاً مع الآخرين إلا إذا استخدم فى سياق العبارة مع غيره من المفردات.
ولهذا تعد العبارة الصيغة اللفظية ذات المعنى، وهى تحقق ذلك (أى المعنى) حين :
1- تتكون من مجموعة من المفردات ذات معنى.
2- وحين يتم الربط بين هذه المفردات فى سياق العبارة بناء على قواعد صياغة اللغة أى بناءها. وهذه القواعد توضح لنا كيف يمكن صياغة عبارات مختلفة من أنواع من الكلمات والمفردات المتعددة.
من هذا يتضح أن لمعنى الكلمة مراتب تتضح من سياق التراكيب التى تستخدم فيها، وكلما كان النص الفنى جيداً ازدادت طبقات المعنى فيه تعدداً.
ولكن إذا كان هذا حال المفردة التى قد يتحدد معناها بتعدد التراكيب والصياغات التى ترد فيها، فإن هناك شيئاً هاماً يجعل معنى المفردة يختلف عن معناها القاموسى، أى معناها منفردة أو داخل السياق بشكل عام، بل لمعناها فى داخل سياق محدد وتركيب مخصص لتكوّن لنا ما يعرف بالعبارة، وهى التى

تتسم بدلالة خاصة لاتكتسبها من معانى مفرداتها بل من ذلك التركيب الخاص الذى يعطيها معناها المحدد كعبارة مستقلة.

ولذلك كان تعريف العبارة دلالياً هى تلك التى لا يفهم معناها الكلى بمجرد فهم معانى مفرداتها وضم هذه المعانى بعضها إلى بعض. فى هذه الحالة نصف المعنى بأنه تعبيرى Idiematic. و يدخل تحته (أى تحت أنواع دلالة العبارة) الأنواع الثلاثة الآتية:

1- التعبير Idiem.
2-التركيب الموحد Unitary Complex.
3- المركب و التعبير المركب، Compesite، Compesite Expressien.

مثال النوع الأول كل التعبيرات المكونة من تجمع من الكلمات تملك معانى قاموسية، ومعانى غير قاموسية مثل التعبير "ضرب كف بكف" الذى يحمل معنى "تحير". أما التعبير الموحد فمثاله "بيت الفرعون" الذى يعنى فى المصرية عاصمة الملك، فهو هنا لايشير إلى مبنى، ولكن إلى العاصمة والمؤسسة السياسية المصرية، وعلى هذا لا يمكن وضعه مع الكلمات التى تدل على الاقامة مثل: فيلا، كوخ، قصر، ولا حتى بيت، ولكن يجب وضعه ضمن مجال المؤسسات الحكومية.

أما المركبات أو التعبيرات المركبة فتختلف عن التركيبات الموحدة فى أن الكلمة الرئيسية فيها ما تزال تنتمى إلى نفس مجالها الدلالى مثل "بيت الطلبه" و"ثكنات الجيش" و "عجلة السيارة"... الخ.
هذه الأنواع الثلاثة نجد نماذجها فى اللغة المصرية و شاعت على عهد الفاطميين و فترة الحروب الصليبية كما يلى:
أولاً: التعبير Idiom: مثالها تعبير مازال وارداً حتى اليوم وهو "أطيّب قلبك" فقد ورد فى تاريخ البطاركة لساويرس ابن المقفع: (والآن فأنا أطيب قلبك بالأسرار الجليلة) وكذلك قوله: (فقالو طيب قلوبنا كما تعلم لأجل ميلاده) وقوله: (حتى ظهر له ملاك اللـه وطيب قلبه). وفى "منامات الوهرانى ورد قوله: (طيبى قلبك من جهتى). وفى أخبار مصر لابن ميسر: (و نفذت المكاتبات إلى أعمال مصر بتطيب قلوب الناس) وقوله: (وطابت نفوس أهل البلد بذلك). و كل من هذه المعانى تختلف عن المعنى فى معظم القواميس التى بين أيدينا للكلمة "طيب" و التى تعنى فى هذه العبارات معنى واحد هو "ترضية النفس، أو الناس، أو "القلب". وهناك دلالة أخرى لهذه الكلمة ترد فى "منامات الوهرانى": (قد عاقونى عن دخول الجنة لأجله فقلت له: طيب واللـه طيب) وهذه العبارة تعنى التوعد والتهديد.

ومن العبارات التى شاعت فى هذا العصر ما ورد فى "تاريخ البطاركة": (فأتفق رأيهم ... على رجل مختار

خايف من اللـه) وقوله: (وكان رجل خايف من اللـه). وقال ابن العسال فى كتابه "المجموع الصفوى": (و يربى أولاده بخوف اللـه). ونحن إذا رجعنا إلى المعنى القاموسى للكلمة سنجد أنها تعنى الخوف والذعر، ولكنها هنا استخدمت فى العبارة السابقة بمعنى التقوى والصلاح.

و هناك تعبير آخر ورد فى تاريخ البطاركة: (وقال لهم السيد يسوع المسيح يسهل طريقى) وقوله: (ان الرب سهل طريقى) وقوله: (أنت الذى تسهل طريقى). وفى منامات الوهرانى ورد قوله: (أن يحكى حكاية الفقير الذى طلب من الهراس لقمة فقال: (يسهل اللـه لك) و التى صارت متداولة الآن على النحو التالى: (ربنا يسهل لك). و فى المجموع الصفوى للعسال: (... وكن كرجل اللـه طويل الروح و لا تتسهل)، و "سهل" هنا وردت فى هذه العبارت بمعانى مختلفة لا ترد فى القواميس. و"لا تتسهل" عند العسال تعنى عدم التساهل.

و من تلك العبارات أيضاً ما قاله ابن العسال: (فليس لهم أن يحلو و لا يربطو فى سنن الكنيسة)، فهذه العبارة تعنى أنه ليس لهم أى شأن بأمور الكنيسة، أما "الحل و الربط" فمعناها القاموسى هو فك الحبل أو ربطه.

ثانياً: التركيب الموحد Unitary Complex: وهو تعبير يحتوى على كلمة أولى وكلمة متصلة بها وهما لايشيران إلى معنى الكلمة الأولى مطلقا. من هذه

العبارات التى تعد من التركيب الموحد تلك التى تحمل معنى واحداً لاتعطيه كل كلمة منفردة عن العبارة مثل "قويت شوكته"، فالمعنى الآتى من هذا التركيب هو زيادة قوة ذلك الشخص، ولا يعنى اطلاق المعنى المباشر للّفظ، فالشخص ليس له شوكة لتقوى.

ومن امثلة ذلك ما ورد فى "أخبار مصر" لابن ميسر: (فيها قويت شوكة الأتراك و طمعوا فى المستنصر، وقلّ ناموسه عندهم)، وقوله: (وفيها ابتدت الوحشة بين ناصر الدولة وبنى حمدان وبين الأتراك من أجل أنه قويت شوكته). فهذه العبارة لاتحمل غير معنى واحد نتج عن عن تجمع الكلمتين "قويت" و "شوكة"، والمعنى الظاهر غير المقصود. ومثلها أيضاً قول ابن ميسر: (سعى فى قتل ابن حمدان ليتنفس خناقه)، فعند قتل ابن حمدان لا يتنفس الهواء، بل يحصل على حريته، وهو المقصود بالعبارة.

و مثال آخر ورد فى " تاريخ البطاركة": (بخلاص نفسه من شباك الموت) بمعنى أنه تخلص من الموت فجعل للموت شباك ثم أضافها إلى الموت ليشير إلى خطورة هذا الشىء. وهذا التركيب لا يشير إلى المعنى الأولى المباشر للكلمات بل يشير إلى معنى جديد هو حيل الموت فى اصطياد الأنسان بشباكه.

وهناك عبارة أخرى فى المنامات هى: (يقلب عليهم الأرض) وهى تعنى شدة البحث عنهم، و لاتعنى انه يقلب الأرض، فهذا المعنى غير مقصود مطلقاً.

ثالثاً : التعبير المركب Composite أو Composite Expression: وهى عبارات تحمل معنيين يصح اطلاقهما عليهم، أى أنها تعنى المعنيين فى وقت واحد، مثل ما ورد فى منامات الوهرانى: (أنا ما أقدر أوقع عينى فى عينيه) فهى تعنى عدم القدرة على مواجهة الشخص الآخر، كما تعنى شدة الخجل منه، ولهذا فهذه العبارة تحمل معنيين يصح أن يقصدهما المتكلم فى وقت واحد.
وعند الوهرانى كذلك نجد عبارة: (ولم يظهر لها حس ولا خبر)، هذه العبارة تعنى اختفاء هذه المرأة و أنعدام أخبارها، فعبر بكلمة "حس" عن أختفاء صوتها، أى لم يعرف عنها شيء وهذا مقصد العبارة، وإن كان هذا لا ينفى المعنى الظاهرى للعبارة.

وقد ورد فى المجموع الصفوى لابن العسال: (ما هذا يهمنى فيفترقا، ويكون كلاهما محرومين)، فعبارة "ما هذا يهمنى" تحتوى على كلمة "الهم" أى الحزن أو القلق، وعند تركيبها مع "ما" أصبحت تعنى عدم القلق أو الحزن و كذلك عدم المبالاة أو السخرية كما وردت فى عبارة ابن العسال السابقة، فهى تحمل المعنيين. وقد تطورت عبارة أخرى من هذه العبارة هى "ما يهمنيش".

وفى عبارة أخرى يقولها ابن العسال: (فى وقت صياح الديك)، وهو يعنى بصياح الديك طلوع الفجر، فجعل من هذا الحدث إشارة إلى ميقات محدد وهو الفجر، وهذا لاينفى معنى العبارة الظاهر.

يهمنا أن نشير لما ذكرناه فى السياق السابق إلى أهمية تحليل العبارات فى الأمثال الشعبية المصرية وما شابهها من العبارات السائرة، لأننا سنجد فيها نماذج هائلة على ما سبق وذكرناه فى دلالة العبارة فى اللغة المصرية ومدى خصوبتها ومساهمتها فى تطوير هذه اللغة الحية التى سادت المنطقة لعهود طويلة ومازالت.

لغة الجبرتى فى سلسلة تطورات اللغة المصرية

ولعل من المناسب هنا أن نلقى الضوء بشكل من التفصيل على خواص لغة الجبرتى فى مستوياتها المختلفة، أصواتها ونحوها ومعجمها وذلك من خلال كتابه "عجايب الآثار" لكى نستدل منها على استمرارية تطور اللغة المصرية بأعتبارها دليلا على استمرار حيوية الشعب المصرى ومقاومته الحضارية للغزوات الثقافية الأجنبية:
ولنبدأ بالأصوات: تشترك الألسنة العربية مع اللغة المصرية عند الجبرتى فى نطق بعض الأصوات المهموسة (وهى مجموعة فى قولك "حثه شخص فسكت") باستثناء أصوات "السين" و"الذال"

و"الظاء" و"القاف"، حيث تختص الألسنة العربية باستعمال هذه الأصوات. وفى الوقت الذى تنفرد فيه مصرية الجبرتى بأصوات الجيم، والجيم المعطشة مثل "بيجامة" و"اباجورة". والهمزة المنقلبة عن القاف العربية مثل: ألت = قلت، و"الظاء" المنقلبة عن "الضاد" فى مثل ظابط = ضابط. وقد ساعدت صوتيات هذه الحروف المصرية الجبرتى على استيعاب كثير من الألفاظ الدخيلة للغة المصرية من الألسنة واللغات التركية والفارسية والفرنسية والإيطالية والألمانية واليونانية والأسبانية وغيرها.

ففى لغة الجبرتى ثلاثة أصوات للجيم، هى الجيم التراثية، والجيم المعطشة التى استخدمها فى الكلمات المقترضة من التركية والفارسية مثل : (ينكجرية)= انكشارية و(جراكسة) = شراكسة (جاهين) = شاهين، (لاجين) = لاشين، (جلبى) = شلبى إلخ .. والجيم المصرية الموجودة فى الكلمات (حجنه) وتعنى النباتات الشائكة التى تنمو على حواف المجارى المائية. و(جفيط) صفة اللحم الردئ، و(جوخ) نوع من القماش، و(جوابات) بمعنى الخطابات، و(كرباج) بمعنى سوط، و(خُرج) بمعنى وعاء كبير توضع فيه الاشياء، و(جنابيه) بمعنى وعاء يوضع على جانبى الدابة يحمل فيه بضائع الباعة الجوالين.. إلخ..

كما توجد فى لغة الجبرتى صورتان للقاف هما: القاف التراثية وتستعمل فى الكلمات المقترضة من التركية مثل "قليونجية" بمعنى بحار، و"صنجق" بمعنى أمير، و"قابجى" بمعنى رسول، والقاف التى تنطق فى

المصرية همزة مثل "قفاطين" و"قهوة" و"رقاصة" و"عرقانة" و"عراقى" بمعنى غطاء للرأس و"غلقان" و"قفف".

ولا يستعمل المصريون فى لغتهم "الثاء" ويحلون محلها "التاء" فى مثل "تلاتة" محل "ثلاثة" و(أتر = أثر) و(أتنين = أثنين) و ارتودكس= أرثوذكس، ونلاحظ هنا استبدال الثاء بالتاء وكذلك استبدال الذال بالدال، وينطبق ذلك على بقية الأصوات (مابين الاسنانية) (الذال والظاء).

كما استعمل الجبرتى صوت (الياء) بديلا لصوت "الهمزة" يسيرا=أسيراً، ومايه= مائة، كما تستوعب لغة الجبرتى المصرية نطق أصوات الحركات فى اللغة التراثية وتزيد عليها أصوات الحركة الناتجة عن: الكسرة التى يتولد من نطقها "ياء" كما فى نطق الكلمات (محمدين، عوضين، الاتنين، حسنين. إلخ ..) والضمة الطويلة كما فى الكلمات (هون، يوم، عوف).

وخلاصة هذا الكلام ان لغة الجبرتى المصرية فوق أنها تحتوى على أصوات الألسنة العربية تتفوق عليها فى أصوات خاصة وانماطا من المقاطع لا نجدها فى هذه الألسنة.

وفى مجال الصرف: أحلت لغة الجبرتى المصرية صيغتى "انفعل" و"تفعل" محل المبنى للمجهول التقليدية فى ألسنة العرب، وذلك بعد تحويرهما صوتيا بما يتلاءم معهما، فصارت صيغة "فعل" فيها "انفعل" مثل:

إنضرب= ضرب، وإنطعن= طعن. وصارت صيغة "تفعل" منها "اتفعل" مثل: إتكسر= كسر فى لغة التراث، إترمى= رمى، إنجر= جر، إنحط= حط، إنحصروا = حوصروا، إنحلت= حلت، إنفصل عن القضاء= فصل، إنجرح= جرح، إنهرس = هرس، إنهبط= هبط، إنغرز= غرز.
ويتحتم علينا أن نتعرض كذلك لموضوع البناء للمعلوم والبناء للمجهول لنوضح أن الجبرتى فى لغته المصرية استعمل صيغتى (اسم الفاعل واسم المفعول) استعمالا متميزاً، فالصيغة الأولى تدل فى ألسنة العرب على الحدث ومن أوقعه، والصيغة الثانية تدل على الحدث ومن أوقع عليه هذا الحدث، بيد أن الجبرتى فى لغته يستعمل اسم الفاعل للتدليل على الحدث ومن أُوقع عليه وليس من أَوقعه مثل: (وكان هو المتعين فى الإفتاء) ويعنى: المعين، و(سافر محمد باشا المنفصل) ويعنى المفصول من نيابة مصر، و"انقطع الجالب" ويعنى المجلوب.

أما صيغة اسم المفعول فقد استعملها الجبرتى فى لغته المصرية استعمالات غير معروفة فى ألسنة العرب مثل (مكسوف البال) بدلا من كاسف، ومثل (اوراق مدشته) لا يوجد فعل لهذه المادة فى السنة العرب، و(التخيلات على المتهومين) ويعنى المتهمين.
كما يستخدم الجبرتى فى لغته المصرية جمع صيغة اسم المفعول على "مفاعيل" مثل (مجاريح، معاليم، مساتير) وهذا غير معروف فى السنة العرب.

وفى مجال التراكيب النحوية: سنلاحظ على لغة الجبرتى المصرية ما يلى:

(1) استخدامه المعادلة التركيبية اسم + فعل (ماض أو مضارع) بدلا من الشائع فى لسان العرب فعل + اسم .
مثل: المراكب وصلت.
ـ عبد العال الأغا طلق زوجته
ـ أهل الأرياف القريبة تأتى بالميره.
ـ أفرنج أحمد يلبس حكم قانونهم.
ـ وعلى بك الوزير قتلوه أيضا وهو داخل يظنوه مصطفى بك.
وفى الجملة الأخيرة لا نجد لها أى تشابه فى لغة التراث سواء من ناحية المستويات الصوتية والصرفية والنحوية وعدم مراعاة اعراب أواخر الكلمات. بدليل استعمال صيغة المضارع المرفوع (يظنوه). مجردة من علامة الرفع وهى النون (يظنونه).
ويتخذ الجبرتى فى استعمالاته للجمل التى تقع أحوالا أو صفات سلوكاً لا صلة له على الإطلاق باللسان العربى حيث لا تتحقق لهذه الجمل ما تحدده لها ألسنة العرب من وظائف لغوية معينة. ومن الأمثلة على ذلك:
(فأغرى به رجلا كان عنده بناحية طلخا يضرب نشابا).
فألسنة العرب تورد هذه الجملة هكذا:
(1) فأغرى به رجل.

(2) كان عنده بناحية طلخا.
(3) يضرب نشابا.

وينتج لنا تتابع الجمل انساقا من الأفعال غير مألوفة فى السنة العرب مثل: (كان أراد محمد بك تلبيس مصطفى اغا) و(وهو أخو على باشا الذى كان يسيرا) و(أرسل الباشا إلى مراد بك الدفتردار يعمل جمعية فى بيته) و(طلبوا يركب معهم يأخذون بثأره).

وفى ازمنة الأفعال تقتصر السنة العرب على الماضى والمضارع والأمر ولا نجد عندها ما نسميه بالأفعال المستمرة (cotinuous tenses) ولكن لغتنا المصرية تقدم لنا هذه الأزمنة بإضافة حرف الباء فى أول الفعل كما فى الأمثلة التالية:

زهدى بياكل. للمضارع (المستمر).
زهدى كان بياكل. للماضى (المستمر). الخ ...

فإذا ما انتقلنا إلى استعمال أدوات العطف عند الجبرتى وجدنا فى استخدام بعضها، وعلى الأخص (الفاء، الواو). مثال ذلك: "أشيع انتقال الأمراء المصرلية من جهة البحيرة وقبلوا (أى ساروا للوجه القبلى) إلى ناحية الجسر الاسود". حيث عطف الجملة الفعلية (وقبلوا) على المصدر (انتقال) غير ملتفت إلى ما تقتضيه لغة التراث من تجانس العطف بين الصيغ المتعاطفة.

فإذا ما انتقلنا إلى استعمال الجبرتى للعدد نجده قد ترك صيغ لغة التراث تماماً فى معظم مؤلفه مثل (وصل

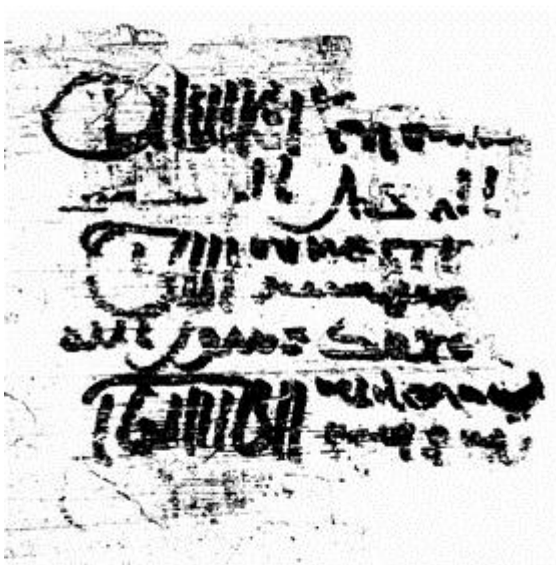
واحد قبجى) وهو فى ذلك ملتزم باللغة المصرية. كما كان للجبرتى فى لغته المصرية استعمالات خاصة مثل (فى حادى عشرينه) وليس (وفى الحادى والعشرين) كما فى السنة العرب. كما لا يلتزم الجبرتى فى ذكره للأعداد بالأفراد والتثنية والجمع وكذلك التعريف والتنكير.

وفيما يختص بالمطابقة: ونعنى مراعاة القواعد المقررة فى ألسنة العرب بالنسبة للتذكير أو التأنيث من جانب، أو بالنسبة للأفراد أو التثنية أو الجمع من جانب آخر، أو بالنسبة للأبواب النحوية المختلفة، نجده فى حالة التذكير أو التأنيث يستخدم استخدامات نوعية غير مألوفة فى ألسنة العرب بالنسبة للفاعل ولاسم الإشارة وللاسم الموصول وللنعت بنوعيه، وللعدد.
ففى بعض استعمالات الجبرتى تراه لا يلحق "تاء" التأنيث بالفعل المسند إلى الفاعل الجمع للمؤنث العاقل، مثل: "فتضرر المحترفات منهن"، وتنص قواعد السنة العرب على الحاق "تاء" التأنيث بالفعل هكذا: (تضررت) ، وفى الوقت نفسه نراه يلحق هذه التاء بالفعل المسند إلى الفاعل جمع المذكر السالم مثل: (وجلت الفلاحين من بلادهم) و(هجت القبليون على المتاريس).
وفى استعمالاته لأسماء الموصول يستعمل صيغة "التى" وهى فى ألسنة العرب للمفردة المؤنثة لتكون عائدة على جمع المذكر، مثل: (وفى سابع عشرينة

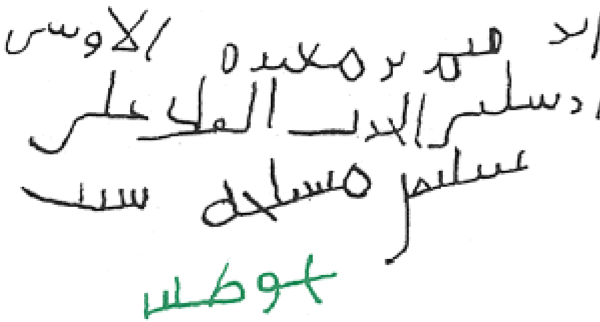
رجعت العساكر التى كانت توجهت إلى جهة الشرق بحمولهم).
وفيما يختص بالاعراب: فإنه يمكننا أن نقول بأن لغة الجبرتى المصرية قد تخلصت فى مجملها من الإعراب، وعلى أساس ذلك فمن الظلم تحكيم المقاييس الإعرابية على لغة الجبرتى المصرية بكافة مستوياتها.
إما من حيث الدلالة: فللجبرتى مستوى خاص به وللغته المصرية، يتمثل فى عبارات مثل: (كبسهم على حين غفلة) = هاجمهم، (يركب على بيته) = يهاجمه ويحاصره، (قارشه) = نادمه، (انجمع عنه) = نبذه، (يسلكونهم للخروج) = يسهلون لهم الخروج، (الضوى) = حامل المشعل للسياف، (العرقانه)= السجن، (احترق بحر النيل) = جف ماؤه فى التحاريق. إلخ..
مع ملاحظة أن بعض هذه الكلمات تطورت الى أشكال أحدث فى الكتابة والى بدائل لفظية أخرى.
أما على مستوى معجم لغة الجبرتى: فإن الثروة اللفظية للغة الجبرتى المصرية تفوق اللغة التراثية بمراحل كبيرة بفضل استيعابها لمفردات الحضارة الحديثة وتأثرها باللغة القبطية والتركية والايطالية وغيرهم من اللغات الأخرى، وهى ألفاظ لم تعرفها ألسنة العرب، إلى جانب التراكيب اللغوية الجديدة.
وإن كان الجبرتى لم يستطع أن يستوعب معانى الأجهزة العلمية التى وردت مع الحملة الفرنسية، كما لم يستوعب فهم معنى النوادى ولا المطاعم

والمصطلحات السياسية كالتمثيل النيابى وكلمة المواطن التى كان يكتبها (ستوين) والاستقلال والدولة وحرية المرأة فهذا كان لزمن قادم تتطور فيه اللغة المصرية بناء على تطور مفاهيمها السياسية والأجتماعية. وإن كان صديقة الشيخ حسن العطار ومن بعده الشيخ رفاعة الطهطاوى قد بذلا فى سبيل ذلك جهوداً عديدة لا يمكن أن تنكر، وتستكملها لغتنا المصرية حتى اليوم خاصة إذا رجعنا إلى المصطلحات التى جاءت لتستوعب التكنولوجيا الحديثة واستخدام الكمبيوتر.

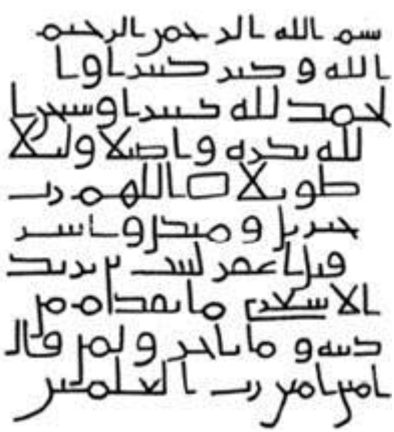
ونضيف إلى كل هؤلاء الرواد كوكبة من الأدباء والشعراء المصريين الذين ساهموا بقدر كبير فى تطوير لغتنا على مستوى المقال و المسرح و الأغانى منذ أديبنا النديم والشاعر العظيم أحمد شوقى وبديع خيرى وبيرم التونسى وعبد الحميد الديب وفؤاد حداد وصلاح جاهين و فؤاد قاعود وسيد حجاب و أحمد فؤاد نجم والأبنودى والعديد من الشعراء الذين يصنفون خطأ على أنهم شعراء العامية.
والذى يهمنا ذكره هنا هو أن اللغة المصرية على مر تاريخها كانت ضمن أشكال المقاومة الثقافية التى كانت تواجه الدخيل و الأجنبى و تستوعبه فى سياقاتها دون أن تترك نظامها وبطريقة أكثر قوة. و هى الآن تسعى لكى تتخلص من مشاكلها القائمة والمتمثلة فى ازدواجية لغتنا التى نتعلمها واللغة التى نتكلمها وحروف كتابتها.



كان اللسان العربى فى مصر يكتب بالحروف القبطية/ اليونانية كما هو واضح فى رأس هذه البردية، ثم تستكمل الوثيقة حروفها مرة أخرى بالقبطية/ اليونانية. (أنظر: اوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية لأدولف جروهمان، السفر الأول. القاهرة 1934).



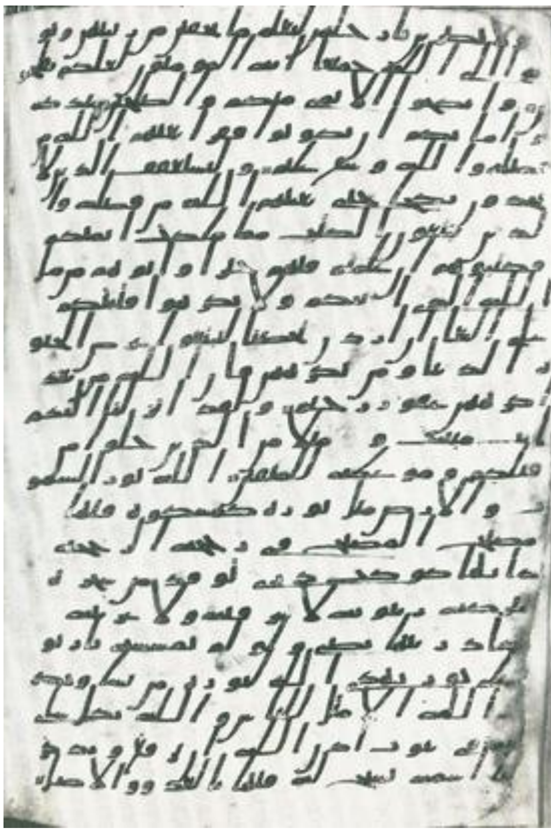
أحد اشكال تطور الكتابة النبطية.



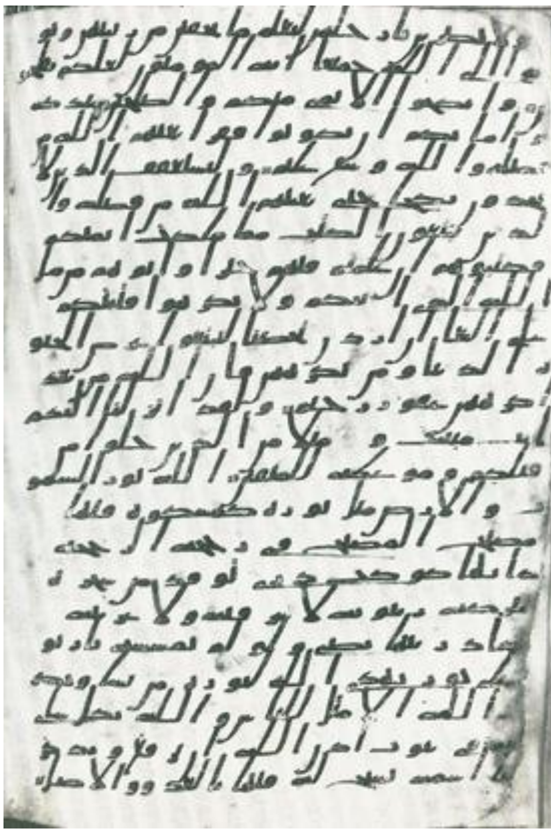
أحد اشكال تطور الكتابة النبطية.



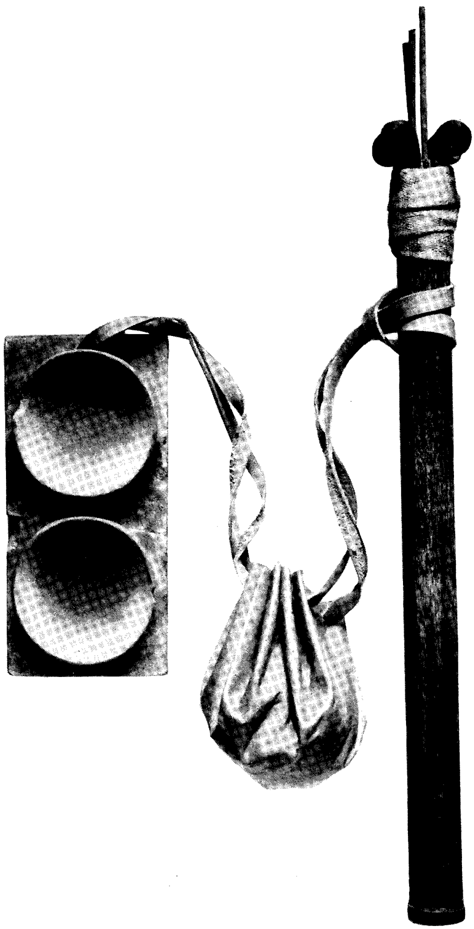
صفحة من مصحف نيجيرى يمثل نمط افريقى فى الزخرفة.



سورة النور من الآية 30



(تابع سورة النور) حتى الآية 44 بالخط النبطى.



من الآثار المصرية: أدوات الكاتب، مقلمة طولية يوضع بها أقلام الكتابة ودواة مزدوجة لتحضير الحبر الأسود والأحمر، وكيس به الحبر الجاف.

الهوامش

1- من الشواهد الآثارية على ذلك حجر رشيد وما كان ينسخ على منواله طوال الحكم البطلمى لمصر . فقد كتب هذا الحجر باللغتين المصرية واليونانية ، ونقشت اللغة المصرية بالحروف الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية ، ولقد استمر استعمال الكتابة الديموطيقية حتى القرن الرابع للميلاد خصوصا فى جنوب مصر وأسوان حيث تأخرت العبادات المصرية الى ذلك العهد. أما أحدث كتابة هيروغليفية وجدت فى مصر فيرجع تاريخها الى عهد الامبراطور داكيوس أى الى منتصف القرن الثالث الميلادى "أنظر قواعد اللغة المصرية القبطية للدكتور جورجى صبحى-مطبعة المعهد الفرنسى-1925 ص 6، القاهرة ". وقد حدد الدكتور " ورل " التاريخ الذى أبطل فيه استعمال الكتابة الهيروغليفية والديموطيقية بقوله " استمر استعمال النصوص الهيروغليفية الى سنة 394م ، والنصوص الديموطيقية الى سنة 452م ". Worrel : A short Account of the Copts, Michigan,1945 pp.8.9.

وان كان من المعروف ان الديموطيقية ظلت قائمة حتى قرب نهاية الاحتلال الرومانى فى 47.م عندما منعت رسميا، ولكنها بالرغم من ذلك ظلت قائمة بين الشعب المصرى حتى قضى عليها تماما عندما استعملت الكنيسة المصرية الحروف القبطية وتطوراتها اللغوية، وكان من الطبيعى ان تتعدد لهجات اللغة المصرية القبطية على نسق لهجات اللغة المصرية السابقة لها، فكان هناك حوالى ست لهجات هى: 1-

اللهجة المنفية نسبة الى مدينة منف وتسمى حاليا البحيرية، وهى اللهجة التى أصبحت فى القرن 11 بعد نقل الكرسى البطركى الى القاهرة، لغة الكنيسة المصرية ولا تزال تستعمل حتى الأن فى خدمة القداس. 2- اللهجة الصعيدية "الطيبية": ولا تستخدم الأن إلا فى بعض الألحان الكنيسية بالقاهرة والوجه القبلى. 3- الفيومية. 4- الاخميمية. 5- الاسيوطية. 6- الواحية: لهجة الواحات الداخلة والخارجة والبحرية، وهى فى الغالب خليط من الفيومية والصعيدية. وليس من شك فى أن معرفة لهجات المصريين الحالية ووضع خرائط لغوية لها يمكن ان تلقى ضوءا كبيرا على الاختلافات الأصلية فى اللهجات المصرية فى الفترة القبطية.

وقد أدى استبدال الحروف الديموطيقية بالحروف القبطية الى عدة تغيرات فى اللغة المصرية وكتابتها منها :

أ-إدخال كلمات يونانية وأجنبية الى اللغة المصرية خاصة فى ظل الاحتلال اليونانى والرومانى.

ب-استبدال بعض الحروف أو تغيير موقعها فى الكلمة حتى تبعد عن أصلها المصرى وتخضع للمعتقد الدينى المسيحى مثل " نتر " التى تعنى " اله " فى اللغة المصرية، أصبحت فى القبطية "نوتى" بعد حذف الراء و "نس" بمعنى لسان فى الديموطيقية أصبحت "لس" فى القبطية.

ج-استخدام كلمات أجنبية بدلا من المصرية مثال كلمة " نى فى " المصرية التى تعنى "نفس أو روح" فقد استبدلت بكلمة " بنوما " اليونانية التى تعنى الروح القدس، لأن مسيحيو مصر كانوا يعتقدون أن تسمية الأشياء المقدسة فى دينهم تتدنس إذا ما اتخذت أسماء مصرية "وثنية". كذلك استبدلت كلمة زواج المصرية بكلمة يونانية أخرى، وأبقيت الكلمة المصرية "زواج" لتعنى "الزنى" باعتبارها كلمة وثنية تدل على وضع وثنى فى علاقة الرجل بالمرأة.

د- اندثار بعض الكلمات الديموطيقية بسبب تعارضها مع الايمان المسيحى " أنظر رسائل مارمينا- الرسالة رقم 15 - ص 9. وما بعدها.

2- الخط القبطى: عرفت اللغة المصرية المكتوبة بالخط القبطى منذ أواخر الحكم البطلمى لمصر وبدايات الاحتلال الرومانى.

وهى محاولة لاستبدال الأبجدية المصرية الديموطيقية بالأبجدية اليونانية .. ولا علاقة لهذه المحاولة بالمنطوق الشفهى الفعلى للغة المصرية. وقد أستمرت هذه المحاولة فى مصر فترة طويلة جدا بلغت ما يزيد عن 1000سنة .. بدأ من عام 330 ق.م .. وحتى عام 640 م. يقول أنطون ذكرى .. عالم اللغات القبطى الشهير .. فى كتابه المعروف (مفتاح اللغة المصرية القديمة) تحت عنوان (اللغة القبطية وكتابتها) ص 120: (فى سنة 389 م. حرم الإمبراطور ثيودوس الديانات المصرية وأغلقت معابدها تنفيذا لأمره وأصبحت الديانة الأرتودكسية هى الديانة الرسمية للحكومة.. وأبطلت نهائيا الكتابة الهيروغليفية و الديموطيقية .. .. واقتبست الحروف الهجائية اليونانية لأستخدامها فى الدواوين والكتابات الدينية بعد أن أضيف لها سبعة أصوات من اللغة المصرية بالخط الديموطيقى لعدم وجود ما يماثلها لفظيا فى الأبجدية اليونانية) ولم يكن لهذا الخط أى تأثير على اللغة المصرية الشفاهية التى كان يتكلمها المصريون فى كل بقاع مصر البعيدة عن مجال الدواوين الرسمية. وهكذا عرفنا.. أيها السادة هذا الخليط الوليد المحدود بالدواوين الرسمية.. و الذى رفضه الشعب المصرى لشذوذه الشديد مما أدى لمحدودية انتشاره. كما يقول أنطون ذكرى ص 124: (اندمج كثير من الكلمات اليونانية فى هذا الخليط الوليد المسمى بالقبطية لأن أغلب الكتابات القبطية ترجمت من اليونانية فكان من السهل نقل الكلمات اليونانية إلى القبطية، نظراً لأن الكتبة الأقباط لم يكن فى لغتهم المصرية كثيرا من الاصطلاحات الدينية للتعبير بها عن الأفكار الجديدة التى أدخلتها المسيحية فى عقائدهم).

وعلى ذلك نستطيع أن نعرف ما يسمى باللغة القبطية على أنها : اللغة اليونانية المتداولة بين الجالية اليونانية فى مصر (أنظر طريقة كلامهم حتى اليوم عندما يتلفظون الكلمات

المصرية على قواعد اللغة اليونانية) وبعض المصريين الذين عملوا فى دواوين المحتل الأجنبى ولا علاقة لها باللغة المصرية السائدة فى ربوع الأراضى المصرية كافة على مر التاريخ.

وتحتوى الكتابة القبطية على 32 حرف هى عبارة عن 25 حرف يونانى أبجدى .. تم إضافة 7 حروف أبجدية قيل أنها حروف ديموطيقية ! . وإليك هذه الحروف الـ 32 التى قيل أنها تمثل صوتيات اللغة المصرية القديمة ..

alpha - bita - gama - delta - epsilon (son) - zeta - ita - theta - iyota - kappa - lambda (laoula) - miu (mi) - niu (ni) - exi - omikron (ou) - pai - rho - sigma (sima) - tau : - hehou - yopsilon - fai - ki - epsi - omega

و تنطق كما يلي : ألفا - بيتا - جاما - دلتا - إبسيلون (سو) - زيتا - إيتا - ثيتا - إيوتا (يوتا) - كابا - لمبدا (لولا) - مى - نى - إكساى - أوميكرون (أو) - باى - رو - سيجما (سيما) - تاو (تاف) - هيهو (هيه) يوبسيلون - فأى - كاى (كى) - إبساى - أوميجا (أوو) . ثم سبعة حروف :

shai - fai - khai - hori - guanga - tshima - ti

شاى - فاى - خاى - هورى - جنجا - اتشيما - تى

سنلاحظ هنا أن حروف اللغة القبطية لا تحتوى على الكثير من الحروف المميزة للغة المصرية القديمة التي وردت فى كافة المراجع الهيروغليفية والتى اتفق على صحتها كافة علماء المصريات مثل :

حرفى العين (ع) و حرف الحاء (ح) و غيرهما .

وكمثال : كيف نكتب بالحروف (القبطية) الأسماء التالية :

عزيز / حبيب / هانى / خليل / غالى / شكرى / داوود / رياض / سمير / ويصة / عطية / تادرس ؟.

عند محاولة كتابة هذه الأسماء بالحروف القبطية نفشل فشلاً ذريعاً ! لسبب بسيط جداً هو أنه لم يوجد حروفا قبطية مناظرة لهذه الحروف.
ومازالت نفش المشكلة قائمة حتى اليوم عندما ننطق أسماء آباء الكنيسة المصرية القبطية.

هكذا نرى بوضوح تـام من خلال المقارنات الصوتية الواضحة للأبجديات المصرية القديمة والقبطية أنه لا يوجد علاقة قوية بينهما.. وإنما هى كانت محاولة لمحو اللغة المصرية من جذورها واستبدالها بلغة المحتل الأجنبى تحت مسميات مختلفة. فى الوقت الذى ترى فيه أن أبجدية اللغة العبرية (التى تسبق اللغة القبطية والمستمدة من العلامات الصوتية الهيروغليفية) تحتوى على الكثير من أصوات الحروف المصرية كما يلى: ألف ـ بيت ـ جيمل ـ دالت ـ هه ـ واف ـ زاين ـ حيت ـ طيت ـ يود ـ كاف ـ خاف ـ لمد ـ ميم ـ نون ـ ثمخ ـ عاين ـ فه ـ صدق ـ قوف ـ ريش ـ شين ـ سين ـ تاف ـ أل.
ونلاحظ أن اللغة العبرية تحتوى على كثير من الأصوات المصرية القديمة مثل :
(العين ـ القاف ـ الصاد ـ الحاء ـ الطاء) والتى تفتقر إليها اللغة القبطية !
وهذا يعنى أن الكتابة القبطية لم تكن منتشرة فى كل أرض مصر. أما الدليل القاطع على أن اللغة المصرية القديمة هى نفس اللغة التى نتكلمها الآن .. هو أننا رفضنا التخلى عن الأسماء المصرية القديمة المتوارثة جيلا بعد جيل .. مثل أسماء:
عزيز ـ أمجد ـ منير ـ غالى ـ جميل ـ مجدى ـ سمير ـ ويصة ـ سامى ـ يسرى ـ ميلاد ـ سعيد ـ نخلة ـ سمعان ـ أمين ـ غالب ـ فؤاد ـ نسيم ـ حلمى ـ محب ـ عطية ـ سيدهم ـ زاهى ـ حنا ـ حبيب ـ شاكر ـ وفيق ـ فوزى ـ رياض ـ

يوسف - موسى - داود - نعيم- خليل - شكرى - لبيب - سيد - فايق - وهبة - وهيب - فرج - بشرى - إلخ

كل هذه الأسماء كانت سائدة فى مصر بين المصريين مئات السنين قبل الأحتلال العربى ورفضت معظم العائلات المصرية التخلى عنها لأنها أسماء مصرية خالصة .. مما يؤكد صحة أن اللغة المصرية لم تتغير شفهيا منذ القدم وحتى يومنا هذا.

و يهمنا هنا أن نشير إلى أن اشكالية ما يسمى باللغة العربية هى ذاتها اشكالية ماسمى باللغة القبطية مع بعض الإختلافات البسيطة.

ولعل أحد الأسباب الأساسية التى أدت الى تحول اللغة المصرية الى الكتابة بالحروف القبطية- اليونانية ، وما تبع ذلك من بعض التحولات اللغوية يعود الى هذه الفترة . ففى الوقت الذى حارب فيه الرومان، ومن قبلهم المقدونيون، هذه اللغة الوطنية كانت المؤسسة الدينية القبطية و كتبتها فى حاجة الى هذه اللغة لنشر معتقدها المسيحى بين الشعب المصرى الذى لم يكن يعرف لغة سواها، واعتمدت هذه المؤسسة فى عملها على كتابة عدد من المخطوطات الدينية باللغة المصرية ذات الحروف القبطية – اليونانية هروبا من الكتابة بالحروف الديموطيقية المصرية لأنها حروف الكتابات الوثنية، أى الفرعونية، وكانت هذه المخطوطات تحتوى على النصوص الايمانية ورسائل الآباء البطاركة، لتلقى شفاهة على المؤمنين الأميين فى الكنايس أما ما عدا ذلك من ابداعات اللغة المصرية - سواء فى مجال الفنون، والآداب والعلوم والفلسفة - فقد تم تجاهله. (3)

وقد أدت سياسة التعليم الشفاهى هذه ، والتى اعتمدت على التلقين والحفظ ، وعدم وجود من يحمى المخطوطات والمؤلفات المكتوبة باللغة المصرية، الى طمس العديد من مظاهر الحضارة المصرية وثقافتها، وأصبح من النادر أن نجد بين المصريين - بوجه عام - من يتقن كتابة لغته ويفقه محتواها الثقافى. مما سهل على العرب، بعد غزوهم مصر،

احلال الحروف النبطية محل الحروف القبطية فى كتابة اللغة المصرية الحالية.

هكذا اتبع وتابع الحكام العرب والمسلمون فى مصر سياسة الرومان. ففى السنوات الأولى من حكم العرب لمصر لجأوا الى كتاب الدواوين الذين كانوا يعملون فى ظل الادارة الرومانية البيزنطية ليديروا لهم شئون البلاد. ولما كان هؤلاء الكتاب يمارسون عملهم على أساس استخدام اللغة اليونانية الى جوار اللغة المصرية المكتوبة بالحروف القبطية، فقد أمروا فى أول الأمر بكتابة الألسنة العربية بالحروف القبطية. (4) ومع الوقت أمروا باستبعاد الحروف القبطية وأحلوا محلها الحروف النبطية. (5) وتطلب ذلك من كتاب الدواوين أن يطوروا كتابة الألسن العربية واللغة المصرية بالحروف النبطية ـ وهى الحروف التى طورها المصريون لتكون آخر أشكال كتابة اللغة المصرية ـ ذلك ان العرب بعد غزوهم لمصر توجسوا من استخدام المصريين للغة المصرية فى حديثهم اليومى وممارسة شعائرهم الدينية، وقلقوا من حالة الابهام المسيطرة عليهم، (6) فأجبروا المصريين على استخدام كل وسائل الترجمة المتاحة لنزع ستار الابهام المستغلق بينهم وبين المصريين. حتى أنهم أجبروا الباعة فى الأسواق على المناداة على بضائعهم وسلعهم باللغة المصرية واللسان العربى، فكان البائع المصرى ينادى على المدمس بمرادفه القريب من فهم البدوى العربى وهو "الفول" وعلى "الحلوم" مع مرادفها العربى "الجبن" .. وهكذا شأن بقية الألفاظ.

وبالتدريج اندثرت حروف الكتابة المصرية القبطية وسادت الحروف النبطية التى ابتلعت بعض صوتيات اللغة المصرية(7) وظلت قاصرة عن استيعاب بقية أصواتها حتى اليوم. و هذا هو الوضع الذى تحولت بموجبه اللغة المصرية إلى الكتابة النبطية، كما كان الحال بالنسبة للغة الفارسية التى تكتب حتى اليوم بنفس الحروف وكذلك اللغة التركية التى

كانت تكتب بهذه الحروف حتى قيام الدولة التركية الحديثة والغاء الخلافة الإسلامية بها فى اوائل القرن العشرين.

3- أنظر مقال تحت عنوان " المصريون اخترعوا المقاومة الشعبية " لكاتب المقال فى جريدة الدستور القاهرية فى 96/2/28 يدور حول أدب الشهداء المصريين قبل المسيحية.

4- كان ذلك بناء على أوامر الامبراطور ثيودس فى عام 389م. أنظر مقال للكاتب فى جريدة الدستور القاهرية فى 96/5/22 تحت عنوان " المصريون دافعوا عن المسيحية قبل أن يؤمنوا بها".

5- يلاحظ فى هذا الشأن أن البابا جريجور الكبير وجه تعليمات الى رجال الدين التابعين له يقول فيها : " لتكن كلمتكم هى الكتاب".

6-بعد استيلاء المسيحيون على المعابد المصرية وتحويها الى كنايس- كما حدث فى مكتبة ومعبد سيرابس/أوزير بالاسكندرية- والاستيلاء على مكتبات هذه المعابد، تمكن بعض المصريون من إنقاذ بعض هذه المخطوطات ودفنها تحت الأرض. وقد اتبع نفس أسلوب الدفن هذا مع المؤلفات التى كتبت كمحاولات لوضع رؤى دينية مختلفة تحت تأثير الفلسفات والمعتقدات المصرية وبخاصة الأوزيرية وبشرت بمسيحية لا توراتية كما الحال فى المريمية، وحاربتها الدولة الرومانية المسيحية على أساس الحجة التوراتية التى تعتبران هذه المعتقدات وثنية. فقد عثر فى عام 1929 على مجموعة من البرديات التى تحتوى على تعاليم "مانى" محفوظة الأن فى متحف برلين، وفى عام 1946 عثر فى مدينة نجع حمادى على خبيئة من البرديات تحتوى على العديد من مخطوطات الفلسفة "الغنوصية" و"الهرمسية"، هذا الى جانب المئات من برديات "أعمال الشهداء المصريين" قبل المسيحية وبعدها التى سرق معظمها وتوجد فى مكتبات الدول الأجنبية.

7- من المعروف أن القبائل البدوية فى شبه الجزيرة العربية كانت تستخدم لغات ذات صوتيات ومفردات مختلفة ومتعددة وغير موحدة ، وذلك بسبب الروح القبلية الشديدة الرافضة

لفكرة الدولة، مما أدى الى عدم قدرتهم على إبداع حروف للكتابة قادرة على استيعاب هذه اللغات ومفرداتها. وقد واجه عثمان بن عفان الخليفة الثالث هذه المشكلة عندما حاول جمع القرآن فى كتابة واحدة. يقول ابن خلدون فى مقدمته "إن الكتابة هى المرتبة الثانية من مراتب الدلالة اللغوية، وهى تابعة فى نموها وتطورها بتقدم العمران والحضارة، والكتابة لهذا السبب تنعدم مع البداوة وتكتسب بالتحضر، ولا يصيبها البدو عادة إلا المقيمين على تخوم المدن.

8- وهو ما عرف بسياسة تعريب الدواوين على أيام الوليد بن عبد الملك ابن مروان سنة 7.5 وذلك بتطوير حروف الكتابة النبطية. وفى هذه الفترة أضيف "الجنكم" وهو نقطة أو شرطة توضع فوق الحروف لإعطاء صوتيات إضافية للحروف النبطية. أنظر فى ذلك أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية لأدولف جروهمان، السفر الأول حيث نلاحظ أن صوتيات اللسان العربى كانت تكتب بحروف قبطية/يونانية، ثم انقلب الأمر فى فترة تالية لتكتب اللغة المصرية بالحروف النبطية المطورة بدلا من الحروف القبطية (ويرجع ميل البدو العرب الى استخدام الحروف النبطية لعدة أسباب منها أسواق الأنباط التجارية التى كانت منتشرة من جنوب فلسطين و سيناء حتى يثرب حتى القرن الخامس الميلادى، ومن المعروف أن هذه الكتابة مشتقة من الكتابة السينائية المصرية.

9- نظرا للمستوى الحضارى والثقافى الضعيف الذى كان يسود بين قبائل الجزيرة العربية وجهلهم بحروف الكتابة وعزوفهم عن التعلم لأنهم أهل حرب وغزو، فقد تركت الدواوين الرسمية والحكومية فى يد المصريين الذين تعلموا الكتابة بالحروف النبطية/العربية، ووضعوا لها مصطلحاتها الحضارية والثقافية والإدارية والمالية التى كان يجهلها العرب، وقد ساعد ذلك بشكل مباشر على تطوير اللغة المصرية الحديثة ووضع أشكال كتابتها الجديدة ـ المتأثرة بالحروف النبطية القديمة ـ والتى لم تعرفها الجزيرة العربية

من قبل فأدخلت النقاط فوق الحروف ـالجنكم المصرىـ وتحتها، ووضعت علامات للدلالة على الحركات الصوتية القصيرة، وتشديد الساكن، والسكون والهمزة والأصوات الحلقية وعدم التلفظ عند توصيل الكلمات، وألف المد وتنوين أواخر الكلمات وتغير شكل ووضع الإشارات بالنسبة لجسم الحرف.

وقد أدت عمليات التطوير هذه على يد المصريين الى نتيجة هامة للغاية، فقد تضخمت واشتملت على أنظمة ثقافية عالية حتى أن العرب انقطعت صلتهم بهذه اللغة الجديدة وصاروا عند الحاجة يتعلمونها على يد المصريين قديما وحديثا.

ومازالت الجهود لتطوير هذه اللغة مستمرة حتى اليوم . أنظر فى ذلك " أصوات جديدة لحروفنا العربية " فى كتاب " معجم الألفاظ العامية " وضع د. عبد المنعم عبد العال مكتبة الخانجى 1971 .

10 -يقول المقريزى عند كلامه عن دير موشة " وتغلب على نصارى هذه الأديرة معرفة القبطى الصعيدى وهى أصل اللغة القبطية. وبعدها اللغة القبطية البحرية ومعظم نصارى الصعيد أولادهم لا يكادون يتكلمون إلا بالقبطية الصعيدية "وقول ماسبرو" ولكن من المؤكد أن سكان صعيد مصر كانوا يتكلمون ويكتبون باللغة القبطية حتى السنين الأولى من القرن السادس عشر". هذا من جانب ومن جانب اخر يجب أن نتذكر أن اللغه ليست حروف الكتابة و لكنها الأصوات و نظم النحو و الصرف و المحتوى الحضارى. والأصوات التى نحاول كتابتها بحروف تدل قدر الإمكان عليها و التى لم تتبدل (لأن الأمر مرتبط بالصفات التشريحية للحنجرة عبر التاريخ إلا فى النادر القليل) يمكننا أن نكتبها بالحروف اللاتينيه أو حروف كتابة أخرى دون أن تصبح لغتنا المصرية هى اللغه اللاتينيه أو غيرها. و لنا فى كتابة الحروف التى يستخدمها المتعاملين مع الكمبيوتر اليوم مثال لمحاولة الخروج من هذا المأزق.

11- السلوك ص 920-922 ج1 قسم 3.

12- السلوك ص 603 ج1 قسم 2 .
13- السلوك ص 952 ج1 قسم 3.
14-المرجع السابق 953 ج1 قسم3.
15- السلوك ص 993 ج1 قسم 3 .
16- السلوك ص 992 ج1 قسم 3 .
17- السلوك ص 992 ج1 قسم 3 .
18- عقد الجمان للعينى ص 299 .
19- السلوك ص 509 ج1 قسم 2 .
20 - السلوك ص 499 ج1 قسم 2، فرق المال بمعنى وزعه، مستعملة حتى اليوم فى لغتنا المصرية فهى ممتدة الجذور.
21- عبد القاهر الجرجانى لغويا. د. البدراوى زهران. ص 174 . دار المعارف. القاهرة.
22- السلوك ص 534 / 535 ج1 قسم 2 .
23 - مغنى اللبيب لابن هشام ج1 ص 182 / 183 اقرأ الأسئلة التى ذكرها.
24 - سورة النساء آية 148 .
25- سورة الشورى آية 23 .
26_ السلوك ص 425 ج1 قسم 2 .
27- السلوك ص 759 ج1 قسم 3 .
28- السلوك ص 508 ج1 قسم 2 .
29- السلوك ص 538 ج1 قسم 2 .
30- السلوك ص 429 ج1 قسم 2 .
31- السلوك ص 575 ج1 قسم 2 .
32- السلوك ص 673 ج1 قسم 3 .
33- السلوك ص 586 ج1 قسم 2 .
34- السلوك ص 891 ج1 قسم 3 .
35 - السلوك ص 410 ج1 قسم 2 .

المصادر والمراجع:

1- حول كتابة اللغة المصرية الحديثة - بيومى قنديل-مجلة مصرية العدد التاسع - أكتوبر 1986 .

2- مدخل الى اللغة العامية المصرية - بدر نشأت - مجلة القاهرة - العدد 163 - يونيو 1996 .

3- حول اللغة المصرية الحديثة - بيومى قنديل - مجلة القاهرة - العدد 163- يونيو 1996 .

4- فى علم اللغة التاريخى - د. البدراوى زهران - دار المعارف 1979 .

5- أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية - أدولف جروهمان.

6- السلوك لمعرفة دول الملوك - للمقريزى - نشره د/ محمد مصطفى زيادة - القاهرة 1934-1942 .

7- عقد الجمان للعينى - دار الكتب المصرية .

8- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب - لابن هشام- تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد- القاهرة.

9- المستدرك العربى الفرنسى - للعلامة الفرنسى دوزيه وتذييل المستشرق فانيان عليه.

11- تاريخ مصر من بدااياات القرن الأول الميلادى حتى نهاية القرن العشرين من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة لساويرس ابن المقفع . اعداد و تحقيق: عبد العزيز جمال الدين . مكتبة مدبولى . القاهرة 2006 .

13 - بعض ملامح تطور اللغة المصرية، عبد العزيز جمال الدين، مجلة مصرية العدد العاشر، القاهرة سبتمبر 2000.

حول تطورات

لغتنا المصرية المعاصرة

عبد العزيز جمال الدين



إن قواعد لغتنا المصرية المعاصرة التى نتكلمها مستمدة فى أغلبها الأعم من قواعد اللغة المصرية التى عرفناها منذ القدم و تطورت منذ فجر التاريخ حتى اليوم.
والذى يهمنا ذكره هنا هو أن اللغة المصرية على مر تاريخها كانت ضمن اشكال المقاومة الثقافية التى كانت تواجه الدخيل و الأجنبى و تستوعبه فى سياقاتها دون أن تترك نظامها اللغوى. وهى الآن تسعى لكى تتخلص من مشاكلها القائمة والمتمثلة فى ازدواجية لغتنا التى نتعلمها واللغة التى نستخدمها فى حياتنا اليومية.



عبد العزيز جمال الدين

صدر له: * تحقيق ودراسة لمخطوط "عجايب الآثار فى التراجم والأخبار" للجبرتى.
* تحقيق ودراسة لمخطوط "تاريخ مصر من خلال تاريخ البطاركة" لساويرس بن المقفع.
* تحقيق لمخطوط عن "أحمد باشا الجزار".
* كتاب عن "المسيحية فى مصر".
* تحرير وتدقيق "يوحنا النقيوسى أول من كتب عن دخول العرب مصر.
*اصدر فى أواخر السبعينيات "مصرية نحو ثقافة وطنية ديموقراطية" ويصدر حاليا "المصرى الليبرالى.
تحت الطبع: * تحقيق لمخطوط "هزّ القحوف بشرح قصيدة أبى شادوف. * تحقيق لمخطوط "واقعة السلطان الغورى مع السلطان سليم". * دراسة وتدقيق لـ"ثلاث مخطوطات للجبرتى عن الحملة الفرنسية".